تفسير

سورة الكهف

خولة بشير عابدين
(أم علاء)

تفسير سورة الكهف

قال تعالى

﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨ ﴾

سورة الكهف

خولة بشير عابدين

المملكـــة الأردنيـــة الهاشميـــة
رقم الإيداع لدى دائرة
المكتبة الوطنية
(٢٠٠٤ / ٦ / ١٣٩٤)

٢٢٠,٨

عابدين ، خولة بشير

تفسير سورة الكهـــف /خولة بشير عابدين._عمان:
المؤلف، ٢٠٠٤.

(   ) ص .

ر . إ : (١٣٩٤ / ٦ / ٢٠٠٤).

الواصفات : /سور القرآن//القرآن//الآيات القرآنية/
/تفاسير القرآن/

* تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

* رقم الإجازة المتسلسل لدى دائرة المطبوعات والنشر : ١٢١٧ / ٥ / ٢٠٠٤

١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م

الإخراج الداخلي والغلاف
مكتوب للتصميم والخدمات المطبعية



دار المأمون للنشر والتوزيع

العبدلي - عمارة جوهرة القدس
تلفاكس: ٤٦٤٥٧٥٧
ص.ب: ٩٢٧٨٠٢ عمان ١١١٩٠ الأردن
E- mail: daralmamoun@maktoob.com



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ﴿١﴾
قَيِّمٗا لِّيُنذِرَ بَأۡسٗا شَدِيدٗا مِّن لَّدُنۡهُ وَيُبَشِّرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ
يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرًا حَسَنٗا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ
أَبَدٗا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِۦ
مِنۡ عِلۡمٖ وَلَا لِأٓبَآئِهِمۡۚ كَبُرَتۡ كَلِمَةٗ تَخۡرُجُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡۚ إِن
يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبٗا ﴿٥﴾ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن
لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ
زِينَةٗ لَّهَا لِنَبۡلُوَهُمۡ أَيُّهُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيۡهَا
صَعِيدٗا جُرُزًا ﴿٨﴾ أَمۡ حَسِبۡتَ أَنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡكَهۡفِ وَٱلرَّقِيمِ
كَانُواْ مِنۡ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذۡ أَوَى ٱلۡفِتۡيَةُ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ فَقَالُواْ
رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةٗ وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدٗا ﴿١٠﴾ عَلَىٰٓ
ءَاذَانِهِمۡ فِي ٱلۡكَهۡفِ سِنِينَ عَدَدٗا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثۡنَٰهُمۡ لِنَعۡلَمَ أَيُّ
ٱلۡحِزۡبَيۡنِ أَحۡصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدٗا نَّحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ نَبَأَهُم بِٱلۡحَقِّۚ ﴿١٢﴾

إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى ﴿١٣﴾ وَرَبَطۡنَا عَلَىٰ
قُلُوبِهِمۡ إِذۡ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَن نَّدۡعُوَاْ
مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهٗاۖ لَّقَدۡ قُلۡنَآ إِذٗا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمُنَا ٱتَّخَذُواْ
مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ لَّوۡلَا يَأۡتُونَ عَلَيۡهِم بِسُلۡطَٰنِۭ بَيِّنٖۖ فَمَنۡ
أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا ﴿١٥﴾ وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا
يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ
وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا ﴿١٦﴾ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت
تَّزَٰوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ ذَاتَ
ٱلشِّمَالِ وَهُمۡ فِي فَجۡوَةٖ مِّنۡهُۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِۗ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ
ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا ﴿١٧﴾ وَتَحۡسَبُهُمۡ
أَيۡقَاظٗا وَهُمۡ رُقُودٞۚ وَنُقَلِّبُهُمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِۖ
وَكَلۡبُهُم بَٰسِطٞ ذِرَاعَيۡهِ بِٱلۡوَصِيدِۚ لَوِ ٱطَّلَعۡتَ عَلَيۡهِمۡ لَوَلَّيۡتَ مِنۡهُمۡ
فِرَارٗا وَلَمُلِئۡتَ مِنۡهُمۡ رُعۡبٗا ﴿١٨﴾ وَكَذَٰلِكَ بَعَثۡنَٰهُمۡ
لِيَتَسَآءَلُواْ بَيۡنَهُمۡۚ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ كَمۡ لَبِثۡتُمۡۖ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ
بَعۡضَ يَوۡمٖۚ قَالُواْ رَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثۡتُمۡ فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم

بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا
فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا
﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى
مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ
لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ
يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ
بِهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا
﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ
سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ
كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ
إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ
لِشَا۟ىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ
إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾

وَلَبِثُواْ فِي كَهۡفِهِمۡ ثَلَٰثَ مِاْئَةٖ سِنِينَ وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعٗا ﴿٢٥﴾ قُلِ
ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ لَهُۥ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَبۡصِرۡ بِهِۦ
وَأَسۡمِعۡۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا يُشۡرِكُ فِي حُكۡمِهِۦٓ أَحَدٗا
﴿٢٦﴾ وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ
وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدٗا ﴿٢٧﴾ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ
رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ
تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ
هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن
وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ
وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ
ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ
ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ
جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ
وَيَلۡبَسُونَ ثِيَابًا خُضۡرٗا مِّن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۚ
نِعۡمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتۡ مُرۡتَفَقٗا ﴿٣١﴾ ۞ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلٗا رَّجُلَيۡنِ جَعَلۡنَا

لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَـٰبٍ وَحَفَفْنَـٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾
كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَـٰلَهُمَا نَهَرًا
﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَـٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا
وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ
أَن تَبِيدَ هَـٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ
إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ
يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ
رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّـٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ
دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ
مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ
وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ
يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ
فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ
يَـٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ
ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلْوَلَـٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا

وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ
ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ
وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ
ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾
وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ
أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ
مَرَّةٍۭ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى
ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا
ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا
عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟
لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ
أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ
لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا
خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾ وَيَوْمَ يَقُولُ
نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ

وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَـٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَـٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَـٰتِى وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوًا ﴿٥٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَـٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَـٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ

ٱلۡبَحۡرَيۡنِ أَوۡ أَمۡضِيَ حُقُبٗا ٦٠ فَلَمَّا بَلَغَا مَجۡمَعَ بَيۡنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ سَرَبٗا ٦١ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدۡ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبٗا ٦٢ قَالَ أَرَءَيۡتَ إِذۡ أَوَيۡنَآ إِلَى ٱلصَّخۡرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلۡحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيۡطَٰنُ أَنۡ أَذۡكُرَهُۥۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ عَجَبٗا ٦٣ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبۡغِۚ فَٱرۡتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصٗا ٦٤ فَوَجَدَا عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا ٦٥ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا ٦٦ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ٦٧ وَكَيۡفَ تَصۡبِرُ عَلَىٰ مَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ خُبۡرٗا ٦٨ قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرٗا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا ٦٩ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعۡتَنِي فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي عَن شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرٗا ٧٠
فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَاۖ قَالَ أَخَرَقۡتَهَا لِتُغۡرِقَ أَهۡلَهَا لَقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـًٔا إِمۡرٗا ٧١ قَالَ أَلَمۡ أَقُلۡ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ٧٢ قَالَ لَا تُؤَاخِذۡنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرۡهِقۡنِي مِنۡ أَمۡرِي عُسۡرٗا ٧٣

فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلۡتَ نَفۡسًا زَكِيَّةَۢ بِغَيۡرِ نَفۡسٍ لَّقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـًٔا نُّكۡرًا ﴿٧٤﴾ ۞ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلۡتُكَ عَن شَيۡءِۭ بَعۡدَهَا فَلَا تُصَٰحِبۡنِيۖ قَدۡ بَلَغۡتَ مِن لَّدُنِّي عُذۡرًا ﴿٧٦﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥۖ قَالَ لَوۡ شِئۡتَ لَتَّخَذۡتَ عَلَيۡهِ أَجۡرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيۡنِي وَبَيۡنِكَۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأۡوِيلِ مَا لَمۡ تَسۡتَطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتۡ لِمَسَٰكِينَ يَعۡمَلُونَ فِي ٱلۡبَحۡرِ فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٞ يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصۡبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا ٱلۡغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤۡمِنَيۡنِ فَخَشِينَآ أَن يُرۡهِقَهُمَا طُغۡيَٰنًا وَكُفۡرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدۡنَآ أَن يُبۡدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيۡرًا مِّنۡهُ زَكَوٰةً وَأَقۡرَبَ رُحۡمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا ٱلۡجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ يَتِيمَيۡنِ فِي ٱلۡمَدِينَةِ وَكَانَ تَحۡتَهُۥ كَنزٞ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا رَحۡمَةً مِّن رَّبِّكَۚ وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِيۚ ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرًا ﴿٨٢﴾ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَن ذِي ٱلۡقَرۡنَيۡنِۖ قُلۡ سَأَتۡلُواْ عَلَيۡكُم مِّنۡهُ ذِكۡرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي

ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ
مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًاۗ قُلْنَا
يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن
ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ
ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ
أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ
نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾
ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا
لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُواْ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ
مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا
﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا
﴿٩٥﴾ ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُواْۖ حَتَّىٰٓ إِذَا
جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن
يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّيۖ فَإِذَا جَآءَ
وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾ ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ

يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ
يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَآءٍ عَن
ذِكْرِي وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾ أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن
يَتَّخِذُوا۟ عِبَادِي مِن دُونِيٓ أَوْلِيَآءَ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾
قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا
وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ
رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾
ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا۟ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ إِنَّ
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾
خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ
رَبِّي لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾
قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ
يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾

الإهـداء

إلى أولادي الأحباء علاء محمد مجاهد

إلى من ابتغيت في تربيتهم والصبر عليها وجه الله عز وجل، إلى من زرعت في قلوبهم مع كل قطرة حليب حب الله وحب رسوله صلى الله عليه وسلم، إلى من أتطلع وأتشوق إلى أن أراهم في الفردوس الأعلى، إليهم جميعاً أقول:

خير إهداء لهم هذا الكتيب – تفسير سورة الكهف– ليؤمنوا أن الصعوبات والأقدار ما هي إلا بحكمة بالغة لله وبعلم الله، وما هي إلا دلالة على حب الله سبحانه وتعالى لعباده الذين اصطفى، فهو يؤهلهم لما هو أجمل وأفضل من هذه الحياة الدنيا القصيرة الفانية الراحلة، يؤهلهم لجنات الفردوس، لذلك الصبر والاحتساب والارتقاء وستذكرون ما أقول لكم،وفقكم الله، سددكم الله، رعاكم الله، تولاكم الله في دنياكم وآخرتكم.

وأما أنا الآن وقد كبرتم فدعائي لكم في سجودي لا يتوقف... اللهم إني استودعتك أولادي فاحفظهم بحفظك، واكلأهم بكلئك، وأرعاهم برعايتك، اللهم حصن فروجهم، وسلم عقولهم، وسلم دينهم، وارزقهم رزقاً حلالا يكفيهم، واجمعني بهم في مستقر رحمتك يا أرحم الراحمين آمين .

المحبة لكم جداً أمكم

خولة بشير عابدين

مقدمـــة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الأمين، وآله الطيبين، ورضي الله عن الصحابة والتابعين، والسائرين على منهج الحق إلى يوم الدين.

أما بعد،

فمن فضل الله على الإنسان أن يهبه زوجة صالحة تعينه على طاعة الله، وكذلك كانت أم علاء عبر مسيرة العمر وقد سخرت نفسها ووقتها وجهدها للدعوة إلى الله تعالى، والسعي في حاجة الفقير واليتيم والأرملة وذوي الحاجة، وأعانها على ذلك ثقة أهل الخير، والحمد لله الذي فتح لها أبواب الخير والطاعة.

ومن ثمرات مسيرتها الدعوية ما جمعته من (الدوسيهات) التي كانت مجال حديثها في مجالس العلم والدعوة في عدد من مساجد عمان، وقد يسر الله تعالى انتشارها في مشارق الأرض ومغاربها في صورة مطبوعة في (ديسكات) حملتها الصالحات من النساء الراغبات في نشر الخير، ونسأل الله تعالى القبول.

وها نحن نصدر لها مؤلفاتها بالعربية ومترجمة إلى الإنجليزية عن دارنا : دار المأمون للنشر والتوزيع .

وهذا الكتاب هو سعي إلى وضع تفسير ميسر لسورة الكهف التي يتلوها المسلم في كل يوم جمعة، رغبة في نيل الأجر والثواب فيه ليكون رفيق التالي لكتاب الله والقارئة له، وقد ضمنته عدداً من

المقالات التي نشرتها في جريدة الدستور في الزاوية الأسبوعية (بصائر) كانت لي فيها نظرات في سورة الكهف تصلح أن تصدر في رسالة مستقلة بعنوان: الأزمات والرحمات في سورة الكهف، ولعلي أكون بهذه المقالات شريكا في الأجر.

والله الهادي إلى سواء السبيل

د. مأمون فريز جرار

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدي الكتاب

سورة الكهف / كهف المؤمن

كتاب الله تعالى يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً، وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً. كتاب الله النور والهدى والشفاء للمؤمن. وفي كتاب الله سور وآيات ذوات خصوصية معينة ولذلك أوصى النبي صلى الله عليه وسلم اتباعه بها، أن يقرأها في أوقات معينة وأحوال مخصوصة، فسورة الملك تقي قارئها من عذاب القبر، وآية الكرسي تقي قارئها من الشيطان، ومن داوم على قراءتها عقب كل صلاة دخل الجنة.

ولسورة الكهف خصوصيات، فمن قرأها يوم الجمعة أضاء له نور من الجمعة إلى الجمعة التي تليها، وأضاء له نور من مكانه إلى البيت الحرام، ومن حفظ عشر آيات من أولها – في إحدى الروايات – عصم من فتنة الدجال.

ولسائل أن يسأل: لم حرص النبي صلى الله عليه وسلم على أن يقرأ المسلم سورة الكهف يوم الجمعة، وما الذي فيها مما يراد استذكاره كل أسبوع؟ لا شك في أن القرآن العظيم لا تنقضي عجائبه، ولا يخلق على كثرة القراءة، ولا تشبع منه العلماء بل تنكشف منه وجوه من الاعجاز لكل قارئ يقرأه ولكل متدبر لآياته، وقد قال أهل العلم في سورة الكهف وما تحمله من دروس، وما يزال مجال القول مفتوحاً.

وقد لفت نظري في هذه السورة العظيمة أنها تحوي مجموعة من القصص من أولها إلى آخرها ، قصة أصحاب الكهف، وقصة صاحب الجنتين وصاحبه، وقصة موسى والعبد الصالح، وقصة ذي القرنين، ومما يلفت النظر في هذه القصص أنها تحوي أزمات، في كل منها أزمة، وهذه الأزمات صنفان: أزمات انتهت بالرحمة وتفريج الكربة وهي الأغلب في هذه القصص، وصنف انتهى بالعذاب وهي قصة صاحب الجنتين، مما يجعلني أقول : إن في سورة الكهف حديثاً عن أزمات ورحمات يراد من المسلم أن يقف عليها في كل أسبوع، لتكون هذه السورة ملاذاً له يتخلص بها من كل أزمة تلم به، ويعلم أن ربه يفرج كل هَمّ، كان ذلك شأن كل من أصابتهم أزمة وتنزلت عليهم رحمة في قصص سورة الكهف، وفي ذلك تفسير عملي لقوله تعالى:

﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ﴿٢﴾ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ ﴾ (الطلاق: ٢-٣) .

إن مما يلاحظ في الأزمات التي تحدثت عنها سورة الكهف أنها أزمات متنوعة: فهناك أزمة مجموعة مؤمنة مع قومها(أصحاب الكهف) وهناك أزمة صاحب الجنتين مع النعمة التي كانت عنده ومع صاحبه الذي حاوره، وأزمة أصحاب السفينة مع ملك زمانهم وما كان يحيط بالسفينة من خطر المصادرة، وأزمة الوالدين المؤمنين مع الولد غير الزكي، وأزمة اليتيمين مع الكنز المهدد بالضياع بانهيار الجدار الدال عليه، وأزمة الشعب الضعيف مع يأجوج ومأجوج.

من هذه الأزمات أزمات فردية وجماعية، اقتصادية واجتماعية وسياسية، فهل في هذا الفهم بعض ما يراد من قراءة سورة الكهف؟ وللحديث بقية تفصيل مع هذه الأزمات والرحمات مع كل قصة.

ملامح السورة

- في السورة أربع قصص هي :

١. أصحاب الكهف : فتية مؤمنون اختاروا وفضلوا الله على كل شيء، ففضلهم الله عز وجل.

٢. صاحب الجنتين : مؤمن وكافر، ونتيجة كل منهما.

٣. موسى والعبد الصالح : عالم ومتعلم، وأدب التعلم والابتلاء في الحياة، والرضى بالقدر.

٤. ذو القرنين : ملك عادل موفق، أخذ بالأسباب فوفقه الله عز وجل.

الرابط بين هذه القصص....الفتن... وهي أربع فتن في حياة الناس:

فتنة الدين وفتنة المال وفتنة العلم وفتنة السلطة

(هدف السورة... العصمة من الفتن)

– والمحرك لهذه الفتن... الشيطان!!

لذلك جاءت قصة الشيطان وسط هذه القصص لأن الشيطان هو محرك هذه الفتن، قال تعالى:

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوُّۢۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ۝٥٠ ﴾

▪ كيف تعصم نفسك من هذه الفتن؟

١. فتنة الدين... النجاة منها بالصحبة الصالحة وتذكر الآخرة، قال تعالى:

﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ ﴾

٢. فتنة المال... النجاة منها بفهم حقيقة الدنيا أنها إلى زوال، وتذكر الآخرة، قال تعالى:

﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ ﴾

٣. فتنة العلم... النجاة منها بالتواضع، قال تعالى:

﴿ قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرًا ﴿٦٩﴾ ﴾

٤. فتنة السلطة... النجاة منها بتذكر الآخرة واعلم أنه لا بد أن تكون مخلصاً لله عز وجل في كل أعمالك، قال تعالى:

﴿ قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ﴿١٠٤﴾ ﴾

٥. آخر آية (١١٠) العصمة من الفتن... تذكر اليوم الآخر، واعمل عملاً صالحاً مخلصاً لله حتى يقبل منك وانتظر لقاء الله وأنت على ذلك، قال تعالى:

﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴿١١٠﴾ ﴾

- الدعوة إلى الله في كل مستوياتها مرسومة في السورة:

الفتية مع القوم، الصاحب مع صاحبه (الجنتين)، المعلم مع تلميذه (موسى والخضر)، الحاكم مع شعبه (ذو القرنين).

[من موضوع للداعية عمرو خالد على الإنترنت]

- موضوعات السورة:

١. بدأت السورة بالحمد على أكبر نعمة أنزلها الله عز وجل وهي الكتاب – القرآن الكريم– .
٢. ووصفت أوصاف الكتاب (ولم يجعل له عوجا، قيما)
٣. وعللت حكمة إنزال الكتاب (الإنذار / التبشير)
٤. خصصت بالإنذار الذين اتخذوا لله ولداً .
(المشركين – اليهود – النصارى)
٥. تسلية الرسول ﷺ عن الحزن على من لم يؤمن بالكتاب.
٦. ذكّرت بحكمة تزيين الحياة الدنيا، ابتلاءً واختباراً.
٧. النجاح والرسوب ثمرة حسن العمل أو سوئه.
٨. نهاية الدنيا وما فيها.
٩. أربع قصص للتثبيت على دين الله عز وجل، واختيار طريق الإيمان والصبر على البلاء والرضا بالقدر واتخاذ الأسباب المتوفرة عند كل مؤمن.

قال سيد قطب رحمه الله: " المحور الموضوعي للسورة الذي ترتبط به موضوعاتها ويدور حولها سياقها فهو تصحيح العقيدة، وتصحيح منهج النظر والفكر، وتصحيح القيم بميزان هذه العقيدة".

▪ سورة الكهف :

مكية كلها في المشهور.
وعدَّها بعض العلماء من السور التي نزلت جملة واحدة.

روي أن اليهود قالوا للمشركين أن يسألوا النبي ﷺ عن ثلاثة أشياء: ١. الروح.
٢. وقصة أصحاب الكهف.
٣. وقصة ذي القرنين.

- فضائل السورة من خلال الأحاديث :

١. تكون سبباً في تنزل السكينة .

عن أبي إسحاق قال: سمعت البراء يقول: قرأ رجل الكهف وفي الدار دابة فجعلت تنفر فنظر فإذا ضبابة أو سحابة قد غشيته فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال:{اقرأ فلان فإنها السكينة تنزل عند القرآن أو تنزلت للقرآن} (متفق عليه) .

٢. تكون سبباً في العصمة من الدجال .

عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال:

{من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عُصم من الدجال}

(رواه أحمد) .

عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال:

{من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف عصم من فتنة الدجال}

(مسلم والنسائي) .

٣. تكون نوراً من قدمه إلى رأسه...قال ﷺ:

{من قرأ أول سورة الكهف وآخرها كانت له نوراً من قدمه إلى رأسه ومن قرأها كلها كانت له نوراً ما بين السماء والأرض}

(رواه أحمد) .

٤. تكون نوراً من مقامه إلى مكة...قال ﷺ:

{من قرأ سورة الكهف كما أنزلت كانت له نوراً من مقامه إلى مكة} (النسائي) .

٥. تضيء له من النور ما بين الجمعتين.

قال ﷺ: {من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين} (البيهقي) .

- لماذا أولها وآخرها عصمة من المسيح الدجال؟

المسيح الدجال الفتنة الكبيرة والأخيرة حدثنا عنها رسول الله ﷺ: {ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة أمر أكبر من الدجال}

(صحيح الجامع ج٢/٥٥٨٨) .

و (ما) بمعنى: ليس.

.مميزات سورة الكهف :

١. هي السورة القرآنية الفريدة التي تحتوي أكبر مادة فيما يتصل بالفتن الأخيرة التي يتزعمها الدجال. (يأجوج ومأجوج). وهي من علامات الساعة الكبرى.

٢. من يتشرب معاني هذه السورة نتيجة الحفظ والإكثار من القراءة في عامة الأحوال يعصم من هذه الفتنة المعقدة للعالم فهي عصمة .

٣. ما في السورة من توجيهات وأمثال وحكايات يبين حال الدجال ويشخصه بكل زمان ومكان، ويشخص أمثاله.

٤. في السورة روح تعارض التدجيل وزعماءه، فالاعتماد على الله عز وجل، وعلى قوته وقدرته. يقول الأستاذ الندوي في السورة..." يحمل القرآن صورة صادقة ناطقة بالمدنية الداجلة التي تولدت في القرن السابع عشر المسيحي واختمرت في القرن العشرين" (الأساس في التفسير سعيد حوى / ج٦ ص٣١٥٠) .

- **سبب نزول السورة:**

عن عكرمة عن ابن عباس قال: " بعثت قريش النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار يهود بالمدينة، فقالوا لهم سلوهم عن محمد، ووصفوا لهم صفته وأخبروهم بقوله فإنهم أهل الكتاب الأول وعندهم ما ليس عندنا من علم الأنبياء، فخرجا حتى أتيا المدينة فسألوا أحبار يهود عن رسول الله ﷺ ووصفوا لهم أمره وبعض قوله وقال: إنكم أهل التوراة وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا، قال: فقالوا لهم سلوه عن ثلاث نأمركم بهن فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل وإلا فرجل متقوّل فتروا فيه رأيكم: سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان من أمرهم فإنهم قد كان لهم حديث عجيب، وسلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبؤه، وسلوه عن الروح ما هو؟ فإن أخبركم بذلك فهو نبي فاتبعوه وإن لم يخبركم فإنه رجل متقوّل فاصنعوا في أمره ما بدا لكم....}

▪ ظلال حول القصص :

١. في قصص سورة الكهف أخفى الله الزمان والمكان وأسماء الشخصيات، فالمقصود العبرة من القصص لأنها تتكرر في كل زمان ومكان.

٢. رحمة الله وقدرته تعم كل من يفرّ بدينه، ويطيع ربه ويطبق منهجه.

٣. قصة أهل الكهف قصة كل قوم يفرّون من الطغاة حفاظاً على دينهم.

٤. الكهف مكان ضيق لا يستطيع الإنسان أن يعيش فيه إلا وقتاً قليلاً، لكنهم في كنف الله، قال تعالى : ﴿ وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا ﴿١٦﴾ ﴾ (الكهف – ١٦)

٥. من قدرة الله أن أوقف تأثير الزمن على أصحاب الكهف فلما استيقظوا كانوا بنفس الصورة التي ناموا عليها، ومثل ذلك ما جاء في سورة البقرة:

٦. ﴿ أَوۡ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرۡيَةٖ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٖ ثُمَّ بَعَثَهُۥۖ قَالَ كَمۡ لَبِثۡتَۖ قَالَ لَبِثۡتُ يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۖ قَالَ بَل لَّبِثۡتَ مِاْئَةَ عَامٖ فَٱنظُرۡ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمۡ يَتَسَنَّهۡۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجۡعَلَكَ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِۖ وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكۡسُوهَا لَحۡمٗاۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعۡلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٥٩﴾ ﴾ (البقرة: ٢٥٩) .

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ١ ﴾

(الحمد لله):

الحمد: اللام للاستحقاق، أي المستحق للمدح والثناء والشكر كله، لأن كل شيء نعمة من نعمه فلا منعم إلا هو، وهو ثناء وحمد لله بصفاته كلها التي هي صفات كاملة، والحمد لله على نعمه الظاهرة والباطنة.

(الذي أنزل على عبده الكتاب):

عبده محمد ﷺ الذي يستحق أن يكون عبداً حقيقياً حراً عن جميع ما سوى الله.

قال ابن كثير: إنه تعالى يحمد نفسه المقدسة عند فواتح الأمور وخواتمها، المحمود على كل حال، وله الحمد في الأولى والآخرة.

الآية ذكرت أجمل صورة للعلاقة بين الله عز وجل ورسوله ﷺ فقال: (على عبده) :

فالعبودية هي الصورة المثلى بين الرسول ﷺ وبين ربه، وفي سورة الإسراء رسمت صورة العبودية لرسول الله ﷺ بقوله تعالى:

﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١ ﴾ (الإسراء: ١) .

ثم رسمت الآية أوصاف هذا الكتاب القرآن المنزل على عبده، والذي عليه يُحمد الله عز وجل.

(الكتاب): أكبر نعمة على الإنسان إنزال القرآن العظيم على عبده ورسوله ﷺ.

(ولم يجعل له عوجاً):

عوجاً: اختلالا واختلافاً.فلا اختلاف في معانيه ولا تناقض، ولا يخرج شيء منه عن الحكمة فلا زيغ ولا ميل ولا كذب في اخباره، ولا حرج في أوامره ولا نواهيه.

قال الشوكاني: لم يجعل فيه شيئاً من الاختلال في اللفظ والمعنى ولم يجعل فيه اختلافاً.

قال الزمخشري في شرح الآية: لقن الله عباده وفقههم كيف يثنون عليه ويحمدونه على أجزل نعمائه عليهم وهي نعمة الإسلام، وما أنزل على عبده محمد ﷺ من الكتاب الذي هو سبب نجاقم وفوزهم.

﴿ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴾

(قيماً): هنا تثبت للكتاب صفة الاستقامة، فهو مستقيم معتدل عالٍ على سائر الكتب المنزلة قبله، حيث هو مصدق لها شاهد بصحتها، له الفضل بالإعجاز والمعاني.

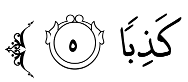
مستقيم لا يخبر ولا يأمر إلا بأجلِّ الأخبار التي تملأ القلوب معرفة وإيمانا وعقلاً.

قال الشوكاني: القيم هو المستقيم الذي لا ميل فيه، أو القيم على ما قبله من الكتب السماوية.

والآية تبين مهمة الكتاب وهي الانذار للكفار والبشارة للمؤمنين.
(لينذر): الإنذار: التهديد بالعقاب على من خالفه، والعقاب الدنيوي والآخروي، وهذا الأنذار من نعمة الله ومن رحمته بعباده لأنه يخاف عليهم فينذرهم.
(بأساً شديداً): عذاباً، ووصف البأس بأنه شديد أي صادر من لدنه سبحانه وتعالى. قال تعالى: (بعذاب بئيس) أي شديد.
قال تعالى: ﴿ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾ ﴾ (الزمر: ١٦).
(من لدنه): نازلاً من عنده سبحانه وتعالى.
(ويبشر المؤمنين): وهم الذين (يؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره). وصفة المؤمن: كما قال رسول الله ﷺ: {الإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل}.
(الذين يعملون الصالحات):هي الأعمال التي يبتغى بها وجه الله تعالى وموافقة للقرآن والسنة.
(أن لهم أجراً حسناً): لا مكدر ولا منغص فيه، وهو الجنة وكل ما فيها حسن.
(ماكثين فيه أبداً): خلود دائم في الجنة ونعيم لا يزولون عنه ولا يزول عنهم.
فمهمة الكتاب المستقيم الذي لا ميل فيه المهيمن على ما قبله من الكتب السماوية، الإنذار للعصاة أوالبشارة للمؤمنين الذين يؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

فالمبشرون بالخلود في نعيم الجنة هم الذين يعملون الصالحات أي يقصدون بأعمالهم وجه الله سبحانه وتعالى وعملهم يوافق القرآن والسنة وأجرهم عظيم رضا الله عز وجل ودخول الجنة.

قال سيد قطب: " ويغلب ظل الإنذار الصارم في التعبير كله فهو يبدأ به على وجه الإجمال (لينذر بأساً شديداً من لدنه) ثم يعود إليه على وجه التخصيص (وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً) وبينهما تبشير للمؤمنين (الذين يعملون الصالحات)".



﴿ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ وَلَا لِأٓبَآئِهِمۡۚ كَبُرَتۡ كَلِمَةً تَخۡرُجُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ ﴾

(وينذر): يهدد بالعقاب فئة مشركة بالله سبحانه وتعالى.

(الذين قالوا اتخذ الله ولداً): وهذا من أقبح أنواع الشرك الادعاء أن لله ولداً، فيعبد من دون الله ويطاع.

(ما لهم به من علم ولا لآبائهم): هذا الافتراء والشرك من دون علم بل هو صادر عن جهل مفرط وتقليد للآباء.

(كبرت كلمة): ما أعظمها من كلمة.

عظمت في الشناعة والقبح تلك الكلمة : (اتخذ الله ولداً).

وهو تبشيع لمقالتهم واستعظام لإفكهم : (اتخذ الله ولداً).

(تخرج من أفواههم): يتلفظون بها افتراء وهذا ما يوسوس به الشيطان في قلوب الناس من المنكرات.

(إن يقولون إلا كذباً): هذا القول وهذا الشرك كذب والعلة (ما لهم به من علم ولا لآبائهم)

والإنذار هنا يشمل مشركي العرب الذين زعموا أن الملائكة بنات الله وكذلك كل من أشرك بالله كاليهود والذين قالوا عزير ابن الله والنصارى الذين قالوا المسيح ابن الله.

ونسبة الولد إلى الله سبحانه أقبح أنواع الكفر والشرك وقولهم هذا كذب وافتراء .

﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ ﴾

(فلعلك باخع نفسك):أي قاتل نفسك حزناً ومهلكها غماً وأسفاً عليهم، حرصاً منك على إسلامهم وهم معرضون عن الإيمان مكذبون بالقرآن.

(على آثارهم): على آثار الكفار من بعد توليهم وإعراضهم.

(إن لم يؤمنوا بهذا الحديث): لعدم إيمانهم بالقرآن.

(أسفاً): من فرط الحزن والغضب.

رسول الله ﷺ كان حريصاً أشد الحرص خائفاً على الأمة من الكفر وغضب الله، لذلك كان يتأسف ويكاد يهلك نفسه عليهم وهذه غاية الرحمة والشفقة منه صلى الله عليه وسلم. فجاءت الآيات لتكون رحمة به، ولتقول له : لا تهلك نفسك أسفاً عليهم بل أبلغهم رسالة الله وبين لهم، فإن فعلت فقد قمت بواجبك.

فالآية تسلية لرسول الله ﷺ ومثلها في القرآن الكريم كثير، ومن ذلك قوله تعالى:

﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ ﴿٥٦﴾ ﴾ (القصص: ٥٦).

﴿ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ ﴿٨﴾ ﴾ (فاطر: ٨).

﴿ لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ ﴾ (الشعراء:٣).

﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾ ﴾

(إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها): من حيوان ونبات ومعادن، ومما يُلهم الله البشر أن يضعوه عليها من المباني والمصانع وغيره.

(لنبلوهم أيهم أحسن عملاً): لنختبرهم أيهم أكثر اتباعاً لأمرنا ونهينا وأكثر عملاً بطاعتنا وأبعد عن الاغترار بزينة الدنيا.

(وإنا لجاعلون): وذلك عند تناهي عمر الدنيا.

(صعيداً): تراباً.

(جُرزاً): يابسة لا نبات فيها ولا حيوان ولا حياة ولا تصلح للعيش.

تنبه الآية الغافلين والمغترين بزينة الحياة الدنيا وكل ما على الأرض أن كل ما بين أيديهم هو امتحان واختبار للبشر، حتى يعلم الله من يطيعه بالغيب ممن يعصيه، ثم يبين لهم أن زينة الدنيا التي تغرهم زائلة، ولذلك يحذرهم منها حتى لا يفاجؤوا بنهايتها وزوالها، ليعبدوا

الله على علم، ولتصبح الدنيا صغيرة في أعينهم والآخرة دار القرار كبيرة في أعينهم وقلوبهم، وهي الأهم في تصوراتهم واستعداداتهم.

قال رسول الله ﷺ: {إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء } **(رواه مسلم) .**

قال سيد قطب: " ونهاية هذه الزينة محتومة فستعود الأرض مجردة منها، وسيهلك كل ما عليها فتصبح قبل يوم القيامة سطحاً أجرد خشناً جدباً".

الأزمة والرحمة في قصة أهل الكهف

قلنا إن سورة الكهف هي "سورة الأزمات والرحمات" لما حوته من قصص في كل واحدة منها أزمة وتجلٍّ للرحمة، ويحتاج الأمر إلى بيان بالوقوف مع كل قصة وقفة مفصلة.

القصة الأولى في السورة هي قصة أصحاب الكهف، وبها سميت السورة، ولا يخفى ما في القصة من أزمة ورحمة لمن قرأها متدبراً. إننا أمام سؤال يمهد لقصتهم: ﴿ أَمۡ حَسِبۡتَ أَنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡكَهۡفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنۡ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ٩ ﴾ وكأن هذا السؤال ينفي العجب عن أصحاب الكهف وحدهم ويمده إلى كل آيات الله المبثوتة فيما تقع عليه الحواس، فإذا عجب الناس من أصحاب الكهف وحالهم فإن فيما بين أيديهم من آيات أعجب منها!

والعجب في قصة أصحاب الكهف أنهم ناموا سنوات طويلة ثم استيقظوا من نومهم العميق ليكون حالهم ذلك دليلاً على البعث، وكم فيما حولنا من الآيات ما نرى فيه آيات الموت والبعث. إننا أمام أزمة توجزها الآية العاشرة :﴿ إِذۡ أَوَى ٱلۡفِتۡيَةُ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةً وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدًا ١٠ ﴾.

لقد فرّوا إلى الكهف، وهذا الفرار علامة وجود أزمة، وهي أزمة لم يجدوا من يحلها لهم من قومهم فيلجؤوا إليه، أو يستعينوا به، فكان لجوؤهم إلى الكهف، استعانة بربهم وقد طلبوا للأزمة رحمة من لدن الله تعالى، وطلبوا أن يلهموا من أمرهم ما يناسب الموقف.

ويبدو أن لجوءهم إلى الكهف كان فيما أرادوا خروجاً من ديارهم بحثا عن مخرج من الأزمة، فهل يذهبون إلى قرية أخرى؟ لقد كانوا في حيرة من أمرهم، ولكنهم وكلوا أمرهم إلى الله تعالى الذي استجاب لدعائهم، وهيأ لهم من أمرهم مرفقاً، وكان الخلاص من الأزمة، وكان تجلي الرحمة بأن غرقوا في نوم طويل ثم بعثوا من نومهم ليكونوا آية لأهل زمانهم.

وبعد الإيجاز نجد شيئاً من تفصيل حالهم: إن أزمتهم مع قومهم هي أزمة إيمان، فقد آمنوا بالله وبقي قومهم على كفرهم، ولقوا من الله تعالى الإكرام بزيادة الهدى، وتثبيت القلب في مواجهة القوم الكافرين بالجهر بكلمة التوحيد ورفض عبادة آلهة من دون الله تعالى، بل التشنيع على قومهم الذين عبدوا آلهة لا دليل على ألوهيتها، وهنا بدأت الأزمة وبدأت مضايقة القوم وسعيهم إلى رد هؤلاء الفتية عن دينهم، وإعادتهم إلى عبادة الآلهة.

وكان الأمر من الجد أن لم يجد الفتية لأنفسهم مكاناً بين قومهم أو عوناً من أخ أو أب أو قريب، فكلهم تآلبوا عليهم فلم يعد لهم مقام إلا هذا الكهف الذي أووا إليه بحثاً عن مخرج، فكان المخرج بالنوم العميق، والرعاية الربانية التي تجلت بالشمس التي تطل عليهم صباحا ومساء، ويجعل هيئتهم هيئة المستيقظ وهم نيام، وبتقليبهم ذات اليمين وذات الشمال حتى لا تتقيح جنوبهم، ومعهم كلب يحرس كهفهم يخيف من يقترب منه.فأي رحمة أعظم من ذلك وأي عناية أعلى؟!

وقد تجلت الرحمة بقومهم الذين آمنت ذراريهم بعد سنين، حين اكتشفوا وجودهم بعد استيقاظهم، وعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها، فأقاموا على كهفهم بعد موتهم مسجداً.

ولا بد في الختام من وقفات ونحن نرى الرحمة تجبّ الأزمة، من هذه الوقفات: ألا نشغل أنفسنا في قصص القرآن بما هو غير مقصود منها ونتنبه إلى الغاية منها، الغاية آية من آيات الله، وأما العدد ومدة النوم فذلك غير مقصود، ومن ذلك أن هذه الأزمة لهؤلاء الفتية حلتها رحمة الله حين صدقوا الله، فكل من وقع في أزمة إن صدق مع الله أغاثه كما أغاث أهل الكهف... والله أعلم.

د. مأمون فريز جرار

▪ نظرات في قصة أصحاب الكهف :

١. حكمة الإعثار على أصحاب الكهف التدليل على البعث بعد الموت.

٢. قصة أصحاب الكهف تحدد لنا نوعاً من مواقف الكافرين من المؤمنين، وفي القصة فوقية لأهل الإيمان على أهل الكفر، وفيها أيضاً ذكر نصرة أصحاب الكهف بالهداية والرحمة.

في القصة نموذج من الدخول في الإسلام كله واعتزال الكفر وأهله، والمشروع عند الفتن أن يفر المرء بدينه خوفاً عليه، قال رسول الله ﷺ: {يوشك أن يكون خيرُ مال المسلم غنما يتبع بها شَعَفَ الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن} (صحيح الجامع ج٢/٨١٨٧).

﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴾

(أم حسبت): الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم. هل ظننت يا محمد أن أصحاب الكهف كانوا عجباً من آياتنا؟ بل لله آيات عجيبة غريبة أعظم من قصة أصحاب الكهف.

(أصحاب الكهف): أضاف الفتية إلى الكهف لطول الملازمة.

(أصحاب): للصحبة التي استمرت ثلاثة مائة سنين وازدادوا تسعاً.

(الكهف): الغار الواسع بالجبل.

(الرقيم): اللوح الحجري الذي رقمت فيه أسماؤهم ودينهم ومن أي شيء هربوا، أو اسم القرية أو اسم الوادي أواسم الجبل.

شرح ابن كثير الآية فقال: " ليس أمرهم عجباً في قدرتنا وسلطاننا فإن خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار وتسخير الشمس والقمر والكواكب وغير ذلك من الآيات العظيمة الدالة على قدرة الله تعالى، وأنه على ما يشاء قدير ولا يعجزه شيء أعجب من أخبار أصحاب الكهف".

قال سيد قطب: " إن الطريقة التي اتبعت في عرض مثل هذه القصة من الناحية الفنية هي طريقة التلخيص الإجمالي أولاً ثم العرض التفصيلي أخيراً وهي تعرض في مشاهد وتترك بين المشاهد فجوات يعرف ما فيها من السياق".

﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾

(إذ أوى): انضم والتجأ إليه.

(الفتية): الشباب، من أشراف الروم، أكرههم ملكهم على الشرك فأبوا وهربوا.

الفتية: جمع الفتى، وهو الشاب القوي.

(إلى الكهف): للتحصن والتحرز من فتنة قومهم لهم.

(فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة): من خزائن رحمتك الخاصة.

رحمة: تستوجب المغفرة والرزق والأمن من الأعداء.

(وهيّئ لنا من أمرنا رشدا): يسر لنا كل سبب موصل للرشد وأصلح لنا دنيانا وديننا فجمعوا بين أمري الفرار من الفتنة والدعاء والتضرع، فتوكلوا على ربهم بعد الأخذ بالأسباب لذلك استجاب الله دعاءهم، وأصلح لهم الأمر الذي هم عليه وهو مفارقة الكفار.

قال ابن كثير: في شرح (وهيّئ لنا من أمرنا هذا رشدا) أي وقدِّر لنا من أمرنا رشداً هذا أي اجعل عاقبتنا رشداً وكان رسول الله ﷺ يدعو: {اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة} (رواه أحمد).

الفئة المؤمنة من الشباب هؤلاء وجدوا في الكهف الضيق مأوى لهم ومهرباً من قومهم بعد التخطيط والتفكير والمشورة حفاظاً على عقيدتهم فأخذوا بالأسباب ثم توجهوا إلى الله تعالى بالدعاء.

﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِي ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدًا ﴿١٢﴾ ﴾

(فضربنا على آذانهم): أي أنمناهم إنامة ثقيلة لا تنبههم الأصوات، بضرب الحجاب عليها، وهي إشارة لتعطيل آلة السمع عندهم ليناموا براحة كبيرة.

(سنين عدداً): ذوات عدد وهي ثلاثمائة وتسعٌ.

(ثم بعثناهم): أيقظناهم من تلك النومة الثقيلة الشبيهة بالموت، وفي هذا دليل على أن النوم أخو الموت في تعطيل الحياة.

(لنعلم): لنختبر.

(أي الحزبين): أي الفريقين المختلفين في مدة لبثهم:المؤمنون والكافرون.

(أحصى لما لبثوا أمداً): أضبط لمدة بقائهم نياماً في الكهف.

من فضل الله ورحمته كانت إجابة الله عز وجل لهم فورية حيث عطل آلة السمع عندهم وجعل النوم نعمة لهم وحفظهم من الخوف والاضطراب، فناموا بأمان واستقرار.

﴿ نَّحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ نَبَأَهُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى ١٣ وَرَبَطۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ إِذۡ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَن نَّدۡعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهٗاۖ لَّقَدۡ قُلۡنَآ إِذٗا شَطَطًا ﴾

(نحن نقص عليك نبأهم بالحق): نحن نخبرك ونبين لك خبر أصحاب الكهف والرقيم لأن الله يقصها على نبيه تفصيلاً للقصة الصادقة وهي الحق وما عداها باطل.

(إنهم فتية آمنوا بربهم): آمنوا بربهم بأنه واحد لا شريك له فشكر الله لهم إيمانهم فزادهم هدى (أي يقيناً)

(وزدناهم هدى): ثبتناهم على الحق.

قال تعالى: ﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ هُدٗىۗ ٧٦ ﴾ (مريم: ٧٦).

وقال تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴾ (التوبة: ١٢٤) .

وقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ٤ ﴾ (الفتح: ٤) .

استدل البخاري بهذه الآية أن الإيمان يزيد وينقص.

(وربطنا على قلوبهم): صبرناهم وثبتناهم وجعلنا قلوبهم مطمئنة وهذا من لطف الله، وقويناهم بالصبر على هجر الأوطان والفرار بالدين، وقويناهم على كلمة الحق، وصبرناهم على مخالفة قومهم ومدينتهم،

ومفارقة ما كانوا عليه من الرغد والسعادة والنعمة. قيل:أهم كانوا من أبناء ملوك الروم وسادقم.

قال رسول الله ﷺ: {أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر}

(أبو داود والترمذي) .

(قاموا): أمام ملكهم معلنين.

(فقالوا ربنا رب السموات والأرض): لا نستطيع إلا أن نقر بربنا رب السموات والأرض رب العالم ومالكه وخالقه ولا إله غيره، وإذا قلنا غير ذلك فهو شطط: أي باطل وبهتان، **فاستدلوا بتوحيد الربوبية على** توحيد الإلوهية، فالطاعة المطلقة لله عز وجل.

(لن ندعوا من دونه إلها): لن نعبد أبداً غير الله، نفوا نفياً قاطعاً أن يجعلوا لله ندا فيطاع ويعبد معه، فالأصنام التي يعبدها الكفار لا تضر ولا تنفع ولا تملك حياة ولا موتاً، وهذا دليل كمال معرفتهم بالله ودليل على زيادة الهدى من الله لهم.

(لقد قلنا إذا شططا): قولا بعيداً عن الحق فيه، الغلو ومجاوزة الحد في القول (وهو الشرك بالله).

دلت الآيتان على أن الإنسان إن صدق في طلب الهداية استجاب الله له، وربط على قلبه، وفي هذا عبرة لكل من أراد الدخول في الإسلام، عليه أن يصدق مع ربه لينال الهداية والتثبيت من عند الله سبحانه. الحق في ديننا لا يؤخذ إلا من لدنه سبحانه وتعالى، ولذلك أصدق الروايات لأصحاب الكهف هي قصة القرآن: فتية اختاروا الله والإيمان والاستقامة فجزاهم الله بحمايتهم وزيادة إيماهم، فقواهم بأن

ربط على قلوبهم ليستطيعوا أن يقوموا ويعلنوا بكل قوة ووضوح أن ربهم هو رب السموات والأرض، ولذلك لا يمكن بعد التوحيد والمعرفة والإيمان أن يشركوا بربهم أحداً، لأن من ذاق طعم الإيمان لا يمكن أن يشرك، وإلا لكان فعله من أشد أنواع الظلم.

﴿ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ لَّوۡلَا يَأۡتُونَ عَلَيۡهِم بِسُلۡطَٰنِۭ بَيِّنٖۖ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا ١٥ ﴾

(هؤلاء قومنا): اسم إشارة، فيه تحقير لهم.

(اتخذوا من دونه آلهة): عبدوا الأصنام وجعلوها آلهة جهلا منهم.

إخبار، القصد منه الإنكار على القوم بأن يتخذوا ألهة أخرى مع الله عز وجل.

(لولا يأتون عليهم بسلطان بين):

لولا: هــلا.

على ألوهيتهم بحجة ظاهرة الدلالة على مدعاهم، وهذا من المحال أن يأتوا به.

ومعنى الآية: هلا أتوا بحجة وبدليل ظاهر بيِّن على ادعائهم الشرك.

قال ابن كثير: أي هلا أقاموا على صحة ما ذهبوا إليه دليلاً واضحاً صحيحاً.

(فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا):

بنسبة الشريك إليه تعالى الله علواً كبيراً، أي لا أحد أظلم منه.

لقد أصدروا الحكم على قومهم أنهم ظالمون وكاذبون في قولهم هذا.

أما هم ففروا بدينهم حتى لا يشركوا مثل قومهم بربهم.

وهذا درس مهم، لذلك لما عرض المشركون على رسول الله ﷺ الحل الوسط نعبد ربك يوماً وتعبد ربنا يوماً فنزلت سورة الكافرون .

قال تعالى: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ١ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ٢ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ٤ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ٥ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ٦ ﴾ (الكافرون)

فالتوحيد لا يمكن أن يجتمع مع الضلال وأهله أبداً. والاعتزال واجب عند الخوف على العقيدة والخوف من الردَّة.

قال سيد قطب: " لقد تباين الطريقان واختلف المنهجان فلا سبيل إلى الالتقاء ولا للمشاركة في الحياة، ولا بد من الفرار بالعقيدة، إنهم ليسوا رسلاً إلى قومهم فيواجهوهم بالعقيدة الصحيحة ويدعوهم إليها، ويتلقوا ما يتلقاه الرسل، إنما هم فتية تبين لهم الهدى في وسط ظالم كافر ولا حياة لهم في هذا الوسط إن هم أعلنوا عقيدتهم وجاهروا بها، وهم لا يطيقون كذلك أن يداروا القوم ويداوروهم، ويعبدوا ما يعبدون من الآلهة على سبيل التقيه ويخفوا عبادتهم لله، والأرجح أن أمرهم قد كشف، فلا سبيل لهم إلا أن يفروا بدينهم إلى الله".

﴿ وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا ١٦ ﴾

(وإذ اعتزلتموهم): أي فارقتموهم في الاعتقاد. خطاب بعضهم لبعض حين صحت عزيمتهم على الفرار بدينهم، أي كما فارقتموهم بالعقيدة ففارقوهم بالأبدان.

(فأووا إلى الكهف): التجئوا، اجعلوا الكهف مأواكم.
(ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقاً):
ينشر: يبسط لكم ويوسع عليكم.
ربكم: مالك أمركم.
من رحمته: من تفضله وإنعامه في الدارين.
ويهيء لكم: يسهل لكم.
من أمركم: الذي أنتم بصدده من الفرار بالدين.
مرفقاً: ما تنتفعون به.

هذا جزاء لهم لأنهم تبرؤوا من حولهم وقوتهم ولجؤوا إلى الله بالدعاء في صلاح أمرهم وثقتهم الكبيرة بفضل الله عز وجل ولدعائهم السابق: ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾ هذا الطلب الأول، فجاء الرد الرباني : ﴿ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ ﴾.

ومن رحمته هنا أن حفظ عليهم الدين والبدن وجعلهم لغيرهم آية ويسر لهم المكان وجعل ثناءهم الحسن على مر الزمان.

(ينشر لكم ربكم من رحمته): يبسط عليكم رحمة يستركم بها من قومكم أو يبسط لكم من رزقه.

وهذا جواب لدعائهم : ﴿ وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾ لقد أكرموا بالإجابة لصدقهم بكمال معرفتهم بربهم، عرفوا الله حالا وقولا وسلوكا، ومن كمال معرفتهم اعتزالهم قومهم وعمّى الله على قومهم مكانهم، كما عمّى الله تعالى أنظار المشركين حين آوى النبي صلى الله

عليه وسلم إلى غار ثور فقال أبو بكر: لو أن أحدهم نظر إلى موضع قدميه لأبصرنا فقال صلى الله عليه وسلم: يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما" (صحيح الجامع ج٢/٧٨١٤) .

﴿ وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمۡ فِي فَجۡوَةٖ مِّنۡهُۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِۗ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا ١٧ ﴾

(وترى الشمس): يا محمد ويا كُلَّ من يصلح للخطاب.

(إذا طلعت تزاور): تتزاور وتتنحى وتميل عن الكهف فلا يقع شعاعها عليهم.

(عن كهفهم): الذي أووا إليه.

أمالها الله عنهم وصرفها على منهاج خرق العادة وكرامة لهم.

(ذات اليمين): جهة اليمين، والمعنى أن الفيء يتقلص يمنة.

(تقرضهم): تعدل عنهم وتتركهم، وتبتعد وتتجاوز عنهم.

(في فجوة منه): متسعٍ من الكهف، بحيث لا تصيبهم.

والمعنى: أنهم في ظلٍّ طولَ النهار عند شروق الشمس وعندَ الغروب لا تصيبهم الشمس في طلوعها ولا في غروبها.

وقال محمد حسنين مخلوف في صفوة البيان: إن الشمس تميل عنهم طالعة وغاربة لا تبلغهم لتؤذيهم بحرها وتغير ألوانهم وتبلي ثيابهم.

(ذلك من آيات الله):

ذلك: اسم إشارة أي ذلك ما صنع الله بهم من تزاور.

وآيات الله لهم كثيرة منها:

- إرشادهم للغار و(ذلك) اسم اشارة يرجع إلى هدايتهم إليه وهم فيه أحياء.
- والشمس والريح تدخل عليهم لتبقى أجسادهم، ذلك ما صنع الله بهم من تزاور الشمس وقروضها حالتي الطلوع والغروب.

(من يهد الله فهو المهتد): من هداه الله إلى الحق بالتوفيق له، فهو الذي أصاب الفلاح واهتدى إلى السعادة كلها. والمراد إما الثناء عليهم فإنهم مهتدون، أو التنبيه إلى أن أمثال هذه الآية كثير ولكن المنتفع بها من وفقه الله للاستبصار بها.

(ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً): وليا: ناصراً، مرشداً: يهديه للفلاح.

ومن أراد الله إضلاله ضل ولا يهديه أحد.

قال سعيد حوى في (الأساس في التفسير): **(من يهد الله فهو المهتد)** وهو ثناء عليهم بأنهم جاهدوا في الله وأسلموا له وجوههم فأرشدهم إلى نيل تلك الكرامة السنية، والآية دلت على أن أعظم الهداة هم الأولياء المرشدون ومن أراد الله إضلاله فإنه لا يهديه أحد حتى ولو كان ولياً مرشداً.

قال سيد قطب: " وهو مشهد تصويري عجيب، ينقل بالكلمات هيئة الفتية في الكهف، كما يلتقطها شريط متحرك، والشمس تطلع على الكهف فتميل عنه كأنها متعمدة، ولفظة (تزاور) تصور مدلولها وتلقي ظل الإرادة في عملها والشمس تغرب فتجاوزهم إلى الشمال وهم في فجوة منه".

﴿ وَتَحۡسَبُهُمۡ أَيۡقَاظٗا وَهُمۡ رُقُودٞۚ وَنُقَلِّبُهُمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِۖ وَكَلۡبُهُم بَٰسِطٞ ذِرَاعَيۡهِ بِٱلۡوَصِيدِۚ لَوِ ٱطَّلَعۡتَ عَلَيۡهِمۡ لَوَلَّيۡتَ مِنۡهُمۡ فِرَارٗا وَلَمُلِئۡتَ مِنۡهُمۡ رُعۡبٗا ﴿١٨﴾ ﴾

(وتحسبهم): تظنهم.

(أيقاظاً): متنبهين مستيقظين.

ونقلبهم: ونقلبهم في رقدهم.

ذات اليمين: جهة تلي أيماهم.

ذات الشمال: جهة تلي شمائلهم.

قال ابن عباس: لو لم يقلبوا لأكلتهم الأرض. وهذا من ولاية الله عز وجل، فالأرض من طبيعتها أن تأكل الأجساد المتصلة بها، والعلم الحديث أثبت أن الإنسان إذا بقي على حاله شهوراً متتالية مات لما يتكاثف في الجانب الذي يلي الأرض من الأملاح.

فمن قدرة الله وحكمته تقليبهم يميناً وشمالاً، والله قادر على حفظ أجسادهم بلا تقليب ولكن حكمة الله أن تربط الأسباب بمسبباها.

(وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد): وكلبهم: كلب دخل معهم.

قال ابن جريج: يحرس عليهم الباب وهذا من سجيته وطبيعته، يربض بالباب كأنه يحرسهم.

والكلب: أصابه ما أصاهم من النوم.

الوصيد: الباب.

قال ابن كثير: وشملت بركتهم كلبهم فأصابه ما أصابهم من النوم، وذلك من فائدة صحبة الأخيار، فهذا الكلب صار له شأن وذكر لما ارتبط بأصحاب الكهف الصالحين.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: "كلب أمين خير من صاحب خوان".

(لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ولملئت منهم رعباً):

لو اطلعت عليهم: أي لو عاينتهم وشاهدتهم وأشرفت عليهم.

لوليت منهم فراراً: هربت.

ولملئت منهم رعباً: خوفاً يملأ الصدر ويرعبه، لأنهم في نظر العين يتقلبون فهم أحياء، ولا يقومون فكأنهم أموات، وهذا مصدر الرعب.

﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾ ﴾

(وكذلك بعثناهم): أنمناهم تلك النومة ثم أيقظناهم إظهاراً للقدرة على الإنامة والبعث جميعاً،فكما أرقدناهم بعثناهم صحيحة أبدانهم وأشعارهم وأبشارهم لم يفقدوا من أحوالهم وهيآتهم شيئاً بعد ثلثمائة سنة وتسع سنين لهذا تساءلوا بينهم.

(ليتساءلوا بينهم): سأل بعضهم بعضاً.
(قال قائل منهم): قال قائل من بينهم كم لبثتم في منامكم؟
(كم لبثتم): كم نمتم في الكهف؟
(قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم): حيث دخولهم كان في أول النهار واستيقاظهم في آخر النهار ولم تغرب الشمس بعد فاستدركوا (أو بعض يوم). وهذا جواب مبني على الظن.

قال سيد قطب: "إن السياق يحتفظ بالمفاجأة في عرض القصة، فيعرض هذا المشهد والفتية يستيقظون وهم لا يعرفون كم لبثوا منذ أن أدركهم النعاس، إنهم يفركون أعينهم، ويلتفت أحدهم إلى الآخرين فيسأل كم لبثتم؟ كما يسأل من يستيقظ من نوم طويل ولا بد أنه كان يحس بآثار نوم طويل".

(قالوا ربكم أعلم بما لبثتم): ردوا العلم إلى الله المحيط علمه بكل شيء. أي أنكم لا تعلمون مدة لبثكم وإنما يعلمها الله سبحانه.
(فابعثوا أحدكم بورقكم هذه)
الوَرِق: الفضة: اصطحبوا معهم دراهم من منازلهم لحاجتهم إليها.
إلى المدينة: مدينتكم التي خرجتم منها.
(فلينظر أيها أزكى طعاماً): أطيب طعاماً، وأحل طعاماً.
(فليأتكم برزق منه): ليأتكم بقوت.
وليتلطف: يتكلف اللطف في الشراء، ويتكلف اللطف في التخفي حتى لا يُعرف، ويتكلف اللطف في خروجه ومشيه وشرائه حتى لا يُعرف.
ولا يشعرن: لا يفعلن ما يؤدي من غير قصد منه إلى اكتشاف أمرنا.
(إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم): أي أصحاب الملك إن اطلعوا على مكانكم فلا يزالون يعذبونكم بأنواع العذاب إلى أن يعيدوكم في

ملتهم التي هم عليها وإن وافقتموهم على ذلك فلا فلاح لكم في الدنيا ولا في الآخرة.

عللوا التوصية بالحذر، إن عرفوا مكانكم رجموكم وأعادوكم إلى ملة الكفر.

يخبرنا الله عز وجل: أنهم رقدوا ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعاً ثم بعثهم الله فتساءلوا بينهم.

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَعۡثَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ لِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيۡبَ فِيهَآ إِذۡ يَتَنَٰزَعُونَ بَيۡنَهُمۡ أَمۡرَهُمۡۖ فَقَالُواْ ٱبۡنُواْ عَلَيۡهِم بُنۡيَٰنٗاۖ رَّبُّهُمۡ أَعۡلَمُ بِهِمۡۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا ﴿٢١﴾ ﴾

(وكذلك): أنمناهم وبعثناهم من تلك النومة لإظهار القدرة الكاملة، وكذلك أطلعنا الناس عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وهو البعث بعد الموت.

(أعثرنا عليهم): اطلعنا الناس عليهم.

ذكر بعض السلف أن أهل ذلك الزمان شكّوا في البعث وشكّوا في أمر يوم القيامة.

قال عكرمة كان منهم طائفة قد قالوا تبعث الأرواح ولا تبعث الأجساد فبعث الله أهل الكهف حجة ودلالة وآية على ذلك، فجعل الله عز وجل ظهور أهل الكهف عليهم حجة لهم (للمؤمنين) وعليهم (للكافرين).

(ليعلموا أن وعد الله حق): ليعلم الذين أطلعناهم على حالهم أي قومهم: أن وعد الله حق أي: صدق .

وأن الساعة: أي القيامة وهي وقت بعث الخلائق جميعاً للحساب والجزاء.

لا ريب فيها: لا شك في قيامها ولا شبهة في وقوعها.

قال سيد قطب: " ولنا أن نتصور ضخامة المفاجأة التي اعترت الفتية بعد أن أيقن زميلهم أن المدينة قد مضى عليها العهد الطويل منذ أن فارقوها، وأن الدنيا قد تبدلت من حولهم فلم يعد لشيء مما ينكرونه ولا شيء مما يعرفونه وجود، وأنهم من جيل قديم مضت عليه القرون وأنهم أعجوبة في نظر الناس وحسهم، فلن يمكن أن يعاملوهم كبشر عاديين، وأن كل ما يربطهم بجيلهم من قرابات ومعاملات ومشاعر وعادات وتقاليد... كله قد تقطع، فهم أشبه بالذكريات الحية منهم بالأشخاص الواقعية فيرحمهم الله من هذا كله فيتوفاهم".

(إذ يتنازعون بينهم أمرهم): أعثرنا عليهم حين تنازع أهل ذلك الزمان بينهم في أمر دينهم واختلفوا في حقيقة البعث. فارتفع الخلاف وتبينوا أن الأجساد تبعث حية فيها أرواحها كما كانت قبل الموت. لقد كرمهم الله ورفع شأنهم حتى عظمهم الذين اطلعوا عليهم فقالوا ابنوا عليهم بنياناً. سدوا عليهم باب كهفهم وذروهم على حالهم أي ابنوا عليهم باب الكهف لئلا يتطرق إليهم الناس محافظة عليهم.

(فقالوا ابنوا عليهم بنياناً):

فقالوا: بعض أهل المدينة.

ابنوا : على باب كهفهم.

بنياناً: يكون دالاً على مكانهم.

لأن الغاية من الإنامة ثم البعث إثبات قدرة الله سبحانه على البعث يوم القيامة، وإن البعث حق والساعة آتية للجزاء، فأعثرنا عليهم لما تنازع أهل زمانهم عليهم واختلفوا في أمرهم فجاء البعث ليرفع الاختلاف ويقر الحقيقة، فمن اطلع عليهم أراد تعظيمهم ببناء بنيان عليهم ويسدوا باب الكهف عليهم حفاظاً عليهم بداخله. ولكن الملك والمسلمين قرروا بناء مسجد ليعبدوا الله فيه ويتذكروهم.

(قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجداً):

الذين لهم الأمر والنفوذ والكلمة قالوا نتخذ عليهم مسجداً لنعبد الله فيه ونتذكر أحوالهم وما جرى لهم. وهذا منهي عنه في الإسلام أي بناء مساجد فوق القبور .

قال ﷺ: **{لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد}** (صحيح الجامع ج٢/٥١٠٨-١٦٢٦) .

قال سيد قطب: " إن العبرة في خاتمة هؤلاء الفتية هي دلالتها على البعث بمثل واقعي قريب محسوس، يقرب إلى الناس قضية البعث، فيعلموا أن وعد الله بالبعث حق وأن الساعة لا ريب فيها وعلى هذا النحو بعث الله الفتية من نومتهم وأعثر قومهم عليهم".

اختلف في عدة أهل الكهف على ثلاثة أقوال :

﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ ﴾

- ثلاثة أشخاص رابعهم كلبهم.
- خمسة سادسهم كلبهم.
- سبعة وثامنهم كلبهم.

(رجماً بالغيب): هو القول بالظن والحدس من غير يقين، أي قولا بلا علم.

(قل ربي أعلم بعدتهم):

الإرشاد في هذا الموقف هو رد العلم إلى الله. وهذا أدب إسلامي عام في كل القضايا، نقول والله أعلم.

(قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل):

قل: تحقيقاً للحق ورداً على الأولين.

بعدتهم: بعددهم.

ما يعلمهم إلا قليل: ما يعلم عدهم إلا قليل من الناس.

(فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهراً):

لا تجادل أهل الكتاب وغيرهم في أهل الكهف إلا جدالا ظاهراً، أو جدالاً سهلاً ليناً وذلك بأن تقص عليهم ما أوحى الله إليك، من غير تجهيل لهم ولا تعنيف في الردّ عليهم. وهذا شأن المسلم في كل أمر من هذا القبيل، لا يترتب عليه فائدة كبيرة لذلك لا يجادل فيه إلا ضمن حدود.

(ولا تستفت فيهم منهم أحداً): ولا تسأل في شأنهم أهل الكتاب فقد جاءك يا محمد الحق الذي لا شك فيه.

لا تسأل أهل الكتاب ولا غيرهم عن قصتهم، لأن الله أرشدك بأن أوحى إليك قصتهم في القرآن وفي ذلك ما يغنيك عن السؤال.القرآن لم يحسم عددهم، فالمهم العبرة والإيمان بالقدرة الإلهية على البعث وليس العدد.

قال سيد قطب: " يوجه القرأن الرسول ﷺ إلى ترك الجدل في هذه القضية، وإلى عدم استفتاء أحد من المتجادلين في شأنهم، تمشياً مع منهج الإسلام في صيانة الطاقة العقلية أن تبدد في غير ما يفيد وفي ألا يقفو المسلم ما ليس له به علم وثيق، وهذا الحادث الذي طواه الزمن هو من الغيب الموكول إلى علم الله فليترك إلى علم الله".

﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيۡءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي لِأَقۡرَبَ مِنۡ هَٰذَا رَشَدًا ﴾

ولا تقولن لشيء: لأجل شيء تعزم عليه.

إني فاعل ذلك: الشيء.

غداً: فيما يستقبل من الزمان.

روي أن النبي ﷺ لما سئل عن قصة أصحاب الكهف قال: {ائتوني غداً أُجبكم} دون أن يعلق ذلك على المشيئة الإلهية فتأخر الوحي خمسة عشر يوماً. فمقام الرسول ﷺ مقام العبودية لله، ومقام التأديب من الله مع كل ما أنعم الله عليه فكيف بغيره من الخلق فالتأدب أمر واقع من موقع العبودية.

وحيث إن كل عمل يرتبط بمشيئة الله رب العالمين، جاء إرشاد من الله عز وجل لرسوله أن الأدب فيما إذا عزم على شيء ليفعله في المستقبل أن يرده إلى مشيئة الله عز وجل علام الغيوب.

الخطاب للرسولﷺ خاصة وللأمة كافة، عند النسيان اذكر الله فإن الله يذكر العبد فلا يكون من الغافلين، والإنسان دائماً مفتقر إلى ربه حتى يصيب ولا يخطئ، وهنا الأمر من الله سبحانه وتعالى إذا قلت لشيء إني فاعل ذلك غداً فقل: إن شاء الله.

(واذكر ربك إذا نسيت): ومعنى الآية: إذا نسيت أن تقول إن شاء الله.
اذكر ربك بالتسبيح والاستغفار إذا نسيت إن شاء الله.
إذا نسيت أي شيء فاذكر الله ليذكرك الله عز وجل ما نسيته.
وقل عسى: يا محمد ﷺ ، ويا أيها الناسي قل: إن شاء الله، عسى أن يهدين ربي.
عسى أن اهدى إلى شيء بدل المنسي.
لأقرب من هذا رشداً: أقرب منه خيراً ومنفعة.

قال سيد قطب: " وتجيء كلمة عسى وكلمة لأقرب للدلالة على ارتفاع هذا المرتقى وضرورة المحاولة الدائمة للاستواء عليه في جميع الأحوال، فليفكر الإنسان وليدبر ولكن ليشعر أنه إنما يفكر بتيسير الله، ويدبر بتوفيق الله وأنه لا يملك إلا ما يمده الله من تفكير وتدبير، ولن يدعو هذا إلى كسل أو تراخ أو ضعف أو فتور بل على العكس يمده بالثقة والقوة والاطمئنان والعزيمة، فإذا انكشف ستر الغيب عن تدبير الله غير تدبيره فليتقبل قضاء الله بالرضى والطمأنينة والاستسلام".

وقال : " إن كل حركة وكل نأمة بل كل نفس من أنفاس الحي مرهون بإرداة الله وسجف الغيب مسبل يحجب ما وراء اللحظة الحاضرة، وعين الإنسان لا تمتد إلى ما وراء الستر المسدل، وعقله مهما علم قاصر كليل فلا يقل إنسان إني فاعل ذلك غداً، وغدا في غيب الله وأستار غيب الله دون العواقب".

﴿ وَلَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٖ سِنِينَ وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعٗا ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ لَهُۥ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا يُشۡرِكُ فِي حُكۡمِهِۦٓ أَحَدٗا ﴿٢٦﴾ ﴾

(ولبثوا): أي الفتية في كهفهم أحياء نياما. ثلاث مئة سنين وازدادوا (تسعاً): إشارة إلى أن الحساب على اعتقاد أهل الكتاب شمسي، وعند العرب الحساب قمري، والقمري يزيد على الشمسي تسعاً، لأن التفاوت بينهما في كل مائة سنة ثلاث سنين.

إخبار حق من الله عز وجل أنه أرقدهم ثلاثمائة سنة وزيادة تسع سنين هجرية (هلالية) وتساوي ثلاثمائة سنة شمسية.

(قل الله أعلم بما لبثوا): فالعلم الحق والصدق دائماً من الله عز وجل والله أعلم بالزمان الذي لبثه أهل الكهف نياماً.

(له غيب السموات والأرض): يعلم ما غاب في السموات والأرض وأحوال أهلهما.

(أبصر به وأسمع): فالله بصير بكل موجود، سميع لكل موجود يدرك أصغر الأشياء وأكبرها بصراً وسمعاً.

قال محمد حسنين مخلوف في (صفوة البيان): " صيغتا تعجب أي ما أبصره وما أسمعه تعالى، والمراد الإخبار بأنه تعالى لا يغيب عن بصره وسمعه شيء".

قال سيد قطب: " فهذا هو فصل الخطاب في أمرهم يقرره عالم غيب السموات والأرض، ما أبصره وما أسمعه سبحانه فلا جدال بعد هذا ولا مراء".

(ما لهم): ما لأهل السموات والأرض.

(من دونه من ولي): يتولى أمورهم غير الله عز وجل.

فالله انفرد بالولاية العامة والخاصة.

الله سبحانه وتعالى يتولى تدبير الكون كله. والله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور وييسرهم لليسرى، ويجنبهم العسرى، والله تولى أصحاب الكهف بلطفه وكرمه.

(ولا يشرك في حكمه أحداً): حكمه القدري والشرعي وله الخلق والأمر.

وختم قصة أصحاب الكهف بهذه الآية للتذكير بعلم الله وسمعه المحيط وبصره المحيط واستغنائه عن خلقه ووحدانيته في حكمه قضاءً وأمراً.

كل ذلك حتى نستسلم استسلاماً كاملا له سبحانه.

﴿ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾ ﴾

يقول الله تعالى آمراً رسوله ﷺ بتلاوة كتابه العزيز وتبليغه للناس.

التلاوة: القراءة، وقيل: الاتباع والعبادة والتدبر والعمل والتبليغ.

أي اتبع ما أوحى الله إليك، بمعرفة معانيه وفهمها وتصديق أخباره وامتثال الأوامر والنواهي فيه.

(لا مبدل لكلماته): لا مغير لها ولا محرف ولا مزيل.

والمعنى: لا يقدر أحد على تبديلها أو تغييرها لأنه كلام الله المحيط علماً وبصراً وسمعاً وقضاء بكل موجود.

قال تعالى: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ ﴾ (الأنعام: ١١٥).

لتمامها استحال عليها التغيير والتبديل.

(ولن تجد من دونه ملتحدا): إنك إن لم تتبع القرآن تلاوة وعملاً بأحكامه لن تجد مكاناً تحتمي به من الله تعالى.

﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾

قال ابن كثير: " نزلت في أشراف قريش حين طلبوا من النبي ﷺ أن يجلس معهم وحده ولا يجالسهم بضعفاء أصحابه، كبلال وعمار وصهيب وخباب وابن مسعود، وليفرد أولئك بمجلس على حدة فنهاه الله عن ذلك فقال: (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي) وأمره أن يصبر نفسه في الجلوس مع هؤلاء فقال: (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي).

(واصبر نفسك): احبسها وثبتها.

(مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي): أي أول النهار وآخره.

قال سعيد حوى في قوله تعالى: (مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي): " أي دائبين على الدعاء في كل وقت يريدون رضا الله ولا تجاوزهم عيناك.

قال رسول الله ﷺ: {ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله لا يريدون بذلك إلا وجهه إلا ناداهم مناد من السماء أن قوموا مغفوراً لكم قد بدلت سيئاتكم حسنات} (رواه أحمد) .

(يريدون وجهه): وصفوا... بالعبادة والإخلاص والدعاء الدائم، فالآية تأمر بصحبة الأخيار ومجاهدة النفس على صحبتهم ولو كانوا فقراء، لأنهم يريدون رضا الله عز وجل ويريدون وجهه.

قال ابن كثير: " أي اجلس مع الذين يذكرون الله ويهللونه ويحمدونه ويسبحونه ويكبرونه ويسألونه بكرة وعشيا من عباد الله سواء كانوا فقراء أو أغنياء أو ضعفاء".

(يريدون وجهه): بدعائهم وذكرهم وعملهم.

(ولا تعد عيناك عنهم): لا تجاوزهم عيناك ولا ترفع بصرك عنهم، ولا تستصغر شأنهم لقلة مالهم، وضعف حالهم.

قال ذو النون رحمه الله: " خاطب الله نبيه عليه السلام وعاتبه وقال له: اصبر على من صبر علينا بنفسه وقلبه وروحه وهم الذين لا يفارقون محل الاختصاص من الحضرة بكرة وعشياً، فمن لم يفارق حضرتنا فحق أن تصبر عليه فلا تفارقه، وحق لمن لا تعدو عينهم عني طرفة عين، أن لا ترفع نظرك عنهم وهذا جزاؤهم في العاجل".

قال سيد قطب: " اصبر نفسك مع هؤلاء، صاحبهم وجالسهم وعلمهم ففيهم الخير وعلى مثلهم تقوم الدعوات، فالدعوات لا تقوم على من يعتنقونها لأنها غالبة، ومن يعتنقونها ليقودوا بها الاتباع، ومن يعتنقونها ليحققوا بها الاطماع ويتجروا بها في سوق الدعوات تشترى منهم وتباع، إنما تقوم الدعوات بهذه القلوب التي تتجه إلى الله خالصة له، لا تبغي جاهاً ولا متاعاً ولا انتفاعاً إنما تبتغي وجهه وترجو رضاه".(تريد زينة الحياة الدنيا): ولا ترفع بصرك عنهم تريد يا محمد ﷺ زينة الحياة الدنيا، فتطلب بدلهم أصحاب الثروة والرفعة تعلقاً بالدنيا، فالدنيا زائلة والآخرة باقية.

وكما أن الله سبحانه وتعالى أمر الرسول ﷺ أن يصبر نفسه مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي فقد نهاه عن طرد الذين يدعون

ربهم بالغداة والعشي، فقال تعـــالى : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ ﴾ (الأنعام: ٥٢) .

(ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه): لا تطع يا محمد ﷺ من جعلنا قلبه غافلاً عن الذكر فشُغل بالدنيا عن الدين ولا تطعه في تنحية الفقراء عن مجلسك، إرضاءً للأغنياء وأصحاب النفوذ.

(أغفلنا): من غفل عن الله فعاقبه الله فأغفله عن ذكره وصار تابعاً لهواه وبهذا هلاكه وخسارته.

قال تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾ (الجاثية: ٢٣) .

(ولا تطع من أغفلنا قلبه) :

قال سيد قطب: " لقد جاء الإسلام ليسوي بين الرؤوس أمام الله فلا تفاضل بينها بمال ولا نسب ولا جاه، فهذه قيم زائفة وقيم زائلة، إنما التفاضل بمكانها عند الله، ومكانها عند الله يوزن بقدر اتجاهها إليه وتجردها له، وما عدا هذا فهو الهوى والسفه والبطلان".

(وكان أمره فرطاً): كانت أعماله وأفعاله وأقواله سفهاً وتفريطاً وضياعاً وتجاوزاً للحق. فلا تطعه ولا تحب طريقته بل اجتنبه.

والذي يطاع الممتلئ قلبه حباً لله وإيماناً به وفاض على لسانه ذكر الله في كل حين.

﴿ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا ﴿٢٩﴾ ﴾

(وقل): قل يا محمد لأولئك الغافلين.

(الحق من ربكم): الإسلام أو القرآن، فهو الحق من الله عز وجل.

والحق يبين الهدى من الضلال،والحق يبين صفات أهل السعادة وأهـــل الشقاء، ببيانه على لسان رسول الله ﷺ .

فإذا وفق العبد اختار الإيمان. وإن لم يوفق اختار الكفر.

قال تعالى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ ﴾ (البقرة: ٢٥٦) .

(فمن شاء فليؤمن): من كان من أهل السعادة فليؤمن.

(ومن شاء فليكفر): من كان من أهل الشقاوة فليكفر

جاء الحق ولم يبق إلا الاختيار فمن شاء آمن ومن شاء كفر، وهنا تهديد ووعيد لمن اختار الكفر.

قال سيد قطب: " بهذه العزة وبهذه الصراحة وبهذه الصرامة فالحق لا ينثني ولا ينحني إنما يسير في طريقه قيما لا عوج فيه، قويا لا ضعف فيه، صريحا لا مداورة فيه، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، ومن لم يعجبه الحق فليذهب، ومن لم يجعل هواه تبعاً لما جاء من عند الله فلا مجاملة على حساب العقيدة، ومن لم يحن هامته ويطامن من كبريائه أمام جلال الله فلا حاجة بالعقيدة إليه".

(إنا أعتدنا للظالمين ناراً):

إنا أعتدنا: أرصدنا وهيأنا.

للظالمين: سُمّوا الظالمين لأنهم كفروا بالله ورسوله وكتابه وفسقوا وعصوا .

ناراً: عظيمة عجيبة.

(أحاط بهم سرادقها): سورها، أي بسورها المحيط الذي لا منفذ منه ولا طريق ولا خلاص منه تصلاهم النار الحامية.

قال سيد قطب: " وهي نار ذات سرادق يحيط بالظالمين، فلا سبيل إلى الهرب ولا أمل في النجاة والإفلات، ولا مطمع في منفذ تهب منه نسمة، أو يكون فيه استرواح".

(وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه):

يغاثوا بماء: كعكر الزيت في سواده وغلاظته من شدة حرارته، أو بماء كالرصاص المذاب، أو كالحديد المذاب.

يشوي الوجوه: من حره، إذا أراد الكافر أن يشربه وقربه من وجهه شواه حتى تسقط جلدة وجهه، فإذا شوى الأمعاء والبطون فإنه يشوي الوجوه أولاً.

قال سعيد بن جبير: " إن جاع أهل النار استغاثوا فأُغيثوا بشجرة الزقوم، فيأكلون منها فاختلبت جلود وجوههم، فلو أن ماراً مرَّ بهم يعرفهم لعرف جلود وجوههم فيها، ثم يصب عليهم العطش فيستغيثون فيغاثون بماء كالمهل وهو الذي قد انتهـــى حره، فإذا أدنوه من أفواههم اشتوى من حره لحوم وجوههم التي قد سقطت عنها

الجلود، لهذا قال تعالى بعد وصفه هذا الشراب بهذه الصفات الذميمة القبيحة (بئس الشراب)".

(بئس الشراب وساءت مرتفقاً): ذاك الماء أسوأ شراب، وتلك النار أسوأ مكان يقيم فيه الإنسان.

فالعذاب لا يفتر عنهم ساعة وهم فيه مبلسون، أيسوا من كل خير وينساهم الرحيم في هذا الموقف كما نسوه من قبل.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ ﴾

(إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات): الذين جمعوا بين عمل القلب وعمل الأركان والأعمال الصالحة.

(إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً): بشارة للمؤمنين الذين همهم الأعمال الصالحة أن الله سيجازيهم عليها غير منقوصة إن لم تكن مضاعفة بقدر الإخلاص.

﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ ﴾

(أولئك لهم جنات عدن): يقيمون فيها إقامة دائمة.

(تجري من تحتهم الأنهار): من تحت غرفهم ومنازلهم.

(يحلون فيها من أساور): جمع أسورة.

قال سعيد بن جبير: " يحلى كل واحد منهم ثلاثة أساور واحدة من ذهب، وواحدة من فضة، وواحدة من لؤلؤة وياقوت، فهم

يسورون بالأجناس الثلاثة، على المعاقبة أو على الجمع كما تفعله نساء الدنيا ويجمعن بين انواع الحلي".

(**ويلبسون ثياباً خضراً**): أروع الألوان للعيون، وأكثرها راحة لها، كما يقول الطب المعاصر، وأحبها لله تعالى .

(**من سندس**): من الحرير الرقيق.

وإستبرق: من الحرير الغليظ.

(**متكئين فيها**): هيئة المتنعمين على الأسّرة بالاتكاء والاسترخاء (على الأرائك).

(**نعم الثواب**): نعم الأجر الجنة.

(**وحسنت**): الجنة والأرائك، حسنت مترلا ومقيلاً ومقاماً.

(**مرتفقاً**): مكاناً للإقامة والراحة.

(**يحلون**): أسند إلى غيره على سبيل التكريم.

(**يلبسون**): أسند اللبس إليهم، لأن لباس الستر يلبسه الإنسان بنفسه.

جزاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات من تحتها الأنهار تحليهم الملائكة بالأساور من ذهب، وملابسهم من الحرير الرقيق والغليظ، متنعمين على الأسرة مسترخين مرتاحين من عناء الدنيا التي غادروها، ونعم الأجر أجرهم نعيم وارتقاء وارتفاع.

أزمة صاحب الجنتين

الله تعالى يجيب المضطر إذا دعاه، والله تعالى ينعم على الإنسان ليبلوه أيشكر أم يكفر، وقد بين ذلك في مطلع سورة الكهف: (إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملاً) وفي قصة صاحب الجنتين بيان ذلك.

إننا أمام إنسان أتم الله عليه نعمته، فكان تمام النعمة عليه سبباً في وقوعه في أزمة، لم يكن تمامها بالرحمة بل بالنقمة، أما الأزمة فهي الغرور بما أوتي، والفرح بمتاع الدنيا، فهو لم يشكر ربه المنعم بل حجبته النعمة عن رؤية ربه.

لقد وصف لنا القرآن الكريم تمام النعمة عليه بجنتين من أعناب حفتا بالنخيل، وامتلأتا بالزرع، وآتتا أكلهما في أحسن حال، وزادت النعمة بنهر يشق الجنتين، وكانت قمة غروره في قمة تمام النعمة عليه حين رأى الثمار الدانية، وكل تفاصيل المشهد، فوقف في حوار مع صاحب له مؤمن، لكنه لم يؤت من نعيم الدنيا مثل ما أوتي، وبدلا من أن يقف منه موقف الرحمة والإحسان، وقف موقف الغرور والاستكبار، فقال: ﴿أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا﴾ **بل بلغ به الأمر أن وصل إلى مرحلة الإحساس بالخلود الوهمي، فلم تعد جنتاه جنتين على الأرض، تصيبان الخضرة والثمار في الصيف ويعروهما الجفاف واليبس في الخريف، بل تولد لديه إحساس بأنه في جنة الخلد التي وعد الله عباده المتقين ولذلك جرى على لسانه هذا الوهم** ﴿مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدٗا﴾ **بل ثبت لديه هذا الوهم بأنه في جنة الخلد حين قال:** ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ﴾ **وهل تقوم الساعة بعد دخول الناس الجنة؟!.**

ويبدو أنه جامل صاحبه في معتقده أو سخر منه حين قال : ﴿ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ ﴾.

لقد كان صاحب الجنتين في أزمة كفر بالنعمة، وواجه صاحبه المؤمن أزمة من نوع آخر هي رؤية هذا الكفر المستعلي بما أنعم الله، الغافل عن الله، فكان حواره في محاولة لرد صاحبه عن كفره وتذكيره بحقيقة أمره: الخلق من تراب ثم نطفة ثم تكوينه رجلاً، وبيان الموقف المضاد: موقف الإيمان بالله رباً لا شريك له من نفس أو هوى أو نعمة، وبيان الموقف السليم من النعم (ما شاء الله لا قوة إلا بالله) ثم لما رأى استكبار صاحبه دعا عليه بأن يرسل الله على جنتيه حسبانا من السماء أو يغور ماؤها! ولعل صاحب الجنتين سخر واستهزأ من دعاء صاحبه، وأسمعه من الكلام ما يؤذي، مما يجعلنا أمام رجلين في أزمتين: كافر بالنعم في أزمة غرور، ومؤمن بالله في أزمة دعاء.

وجاء الفرج بالنقمة ممن كفر واستكبر، وإجابة دعاء من آمن بالله وأخلص النية.

د. مأمون فريز جرار

﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ ﴾

(واضرب لهم مثلاً):الآيات السابقة تحدثت عن المشركين المتكبرين وعن مجالسة الضعفاء والمساكين من الفقراء وافتخروا عليهم بأموالهم وأحسابهم.

هنا يقول الله عز وجل لنبيه ﷺ: اضرب مثلاً للناس وبين للكافرين المتقلبين في نعم الله وللمؤمنين المكابدين للفقر حال الرجلين الشاكر لنعمة ربه والكافر بها، وما صدر من كل واحد منهما من أقوال وأفعال ونتيجة أفعالهما من العقاب الآجل والعاجل والثواب حتى يكونا عبرة لغيرهما.

والمثل مهم جداً للإنسان: لأنه يحب أن يسمع القصص والأمثال لأنها أبلغ في العظة والتأثير.

جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب: جعل للكافر بستانين حسنين من أعناب وكروم.

(وحففناهما بنخل): النخيل أحاط بالبستانين.

وفي هاتين الجنتين كل الثمرات وخصوصاً أشرف الأشجار العنب في الوسط، والنخل حف بذلك ودار به.

وقيل فيهما: حسن المنظر وبهاؤه وبروز الشجر والنخل للشمس والرياح التي تكمل بها الثمار فتنضج.

(وجعلنا بينهما زرعاً): وبين تلك الأشجار زرع من أنواع النباتات التي يستفاد منها.

(كلتا الجنتين آتت أكلها): أعطت ثمارها أو أخرجت ثمارها، وبلغ مبلغاً صالحا للأكل.
(ولم تظلم منه شيئاً): لم تنقص من ثمرها أدنى شيء لأن الأنهار في جوانبها سارحة كثيرة غزيرة.
(وفجرنا خلالهما نهراً): شققنا بين الجنتين نهراً يسقيهما من غير انقطاع.

﴿ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا ﴿٣٤﴾ ﴾

(وكان له ثمر): أنواع من المال أخرى يثمرها من الذهب والفضة.
وبالجملة فقد أوتي من كل زينة الحياة الدنيا.
(فقال لصاحبه وهو يحاوره): يحاوره: أي يجادله ويخاصمه ويفتخر عليه ويراجعه الكلام.
(أنا أكثر منك مالاً) : المال كل ما يمتلكه الناس من دراهم أو دنانير أو ذهب أو فضة أو حيوان وثياب وغير ذلك.
(وأعز نفراً): أكثر خدماً وولداً وأنصاراً.
فخر بكثرة ماله وعزة أنصاره من عبيد وخدم وأقارب وهذا جهل منه.

﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدٗا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهَا مُنقَلَبٗا ﴿٣٦﴾ ﴾

(ودخل جنته): إحدى جنتيه، أو سماها جنة لاتحاد الحائط أو لاتحاد النهر.

(ظالم لنفسه): ضار لها لكفره بالمبدأ والمعاد معجب بما أوتي من النعم مفتخر بها على صاحبه ومعّرض نفسه لسخط الله.
قال ما أظن أن تبيد هذه أبداً:

هذا القول اغترار منه لما رأى ما فيها من الزروع والثمار والأشجار والأنهار المطردة في جوانبها وأرجائها ظن أنها لا تفنى ولا تهلك ولا تتلف. وذلك لقلة عقله وضعف يقينه بالله وإعجابه بالحياة الدنيا وزينتها وكفره بالآخرة، ظن أنها لن تبيد مدة حياته الطويلة.
(وما أظن الساعة): أي القيامة والبعث.
(قائمة): كائنة.
(ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيراً منها منقلباً): ولئن كان معاد ورجعة ومرد إلى الله ليكونن لي هناك أحسن من هذا الذي أراه في جنتي لحظي عند ربي، فلولا كرامتي عليه ما أعطاني هذا. هذا القول من فرط جهله بشأن الله الذي يبتلي البشر بالنعم ليرى أيشكرون أم يكفرون، وحال صاحب الجنتين كحال الذي قال: ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۚ﴾ (فصلت: ٥٠).
أو كالذي قال: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾﴾ (مريم: ٧٧).
أي في الدار الآخرة.
(لأجدن): يوم القيامة.
(خيراً منها): من هذه الجنة التي أعطيتها في الدنيا.
(منقلباً): مرجعاً وعاقبة، اعتقاد أن ما أولاه الله في الدنيا كان لاستحقاقه الذاتي وكرامته على ربه، لذلك يقول سيعطيني في الآخرة خيراً مما أعطاني في الدنيا، والحقيقة أنه استدراج له وابتلاء يكشف موقفه.

قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴾(الانفطار: ٦)

قال تعالى: ﴿ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴾ (الإسراء: ٨٣).

﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّـٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ ﴾

(قال له صاحبه): وهو المؤمن ناصحاً له ومذكراً له بحاله الأولى أن ربه أوجده من تراب ثم ارتقى به إلى نطفة ثم أصبح رجلاً كامل الأعضاء والجوارح. فهذه نعمة الله بالإيجاد أولاً ثم الإمداد ثم النقل من طور إلى طور. بهذا يسر الله لك الأسباب وهيأ لك نعم الدنيا فكيف يكون من الكفران منك؟!

(وهو يحاوره): يخاطبه ويجادله.

(أكفرت): لما قلت: " ما أظن الساعة قائمة ". فهذا القول شك في صفات الله وقدرته وكفر بخالقك.

(لكنا هو الله ربي): أنا لا أقول قولك بل أعترف بالله ووحدانيته وربوبيته.

(ولا أشرك بربي أحداً): أي هو الله المعبود وحده لا شريك له.

حوار المؤمن مع الكافر، حوار نصح وإرشاد ذكَّره بمراحل نموه حتى صار رجلاً قوياً، وكل هذا بحول الله وقوته، ويبين له أن نسيان هذا كفر منه، وأعلن المؤمن موقفه المضاد لموقف صاحبه وهو الإيمان بالله وهجر الشرك به، إنه حوار عقلي سعى به المؤمن إلى رد صاحبه الكافر عن كفره وشركه.

﴿ وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ قُلۡتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالٗا وَوَلَدٗا ٣٩ ﴾

(ولولا): هلا قلت عند دخولك لجنتك (ما شاء الله). المؤمن يوجه صاحبه الكافر إلى نعمة الله عز وجل فالأصل أن ترد النعم إلى معطيها فهي تمت بمشيئة الله، وأنت لا حول لك ولا قوة.

فهلا إذا أعجبتك جنتك حين دخلتها ونظرت إليها حمدت الله على ما أنعم به عليك وأعطاك من المال والولد ما لم يعطه غيرك، قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله، اعترافاً بالفضل له، وشكراً لنعمته؟

قال رسول الله ﷺ: {ما أنعم الله على عبد نعمة فقال: الحمد لله إلا كان الذي أعطى أفضل مما أخذ} (صحيح الجامع ج٢/٥٥٦٣).

عن أبي هريرة ﷺعن النبي ﷺ أنه قال: {ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة؟ لا قوة إلا بالله} (رواه أحمد) .

عن ابي هريرة ﷺ قال، قال لي رسول الله ﷺ: {يا أبا هريرة ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة تحت العرش؟ قال: قلت فداك أبي وأمي قال: أن تقول لا قوة إلا بالله} (رواه أحمد) .

(لا قوة إلا بالله): هلا قلت ذلك اعترافاً بعجزك فما تيسر لك من عمارتها وتدبيرها إنما هو بمعونة الله وقدرته.

قال رسول الله ﷺ: {من رأى أحداً أُعطي خيراً من أهل أو مال فقال عنده : ما شاء الله لا قوة إلا بالله، لم يرَ فيه مكروها}

(ابني السني) .

وفي رواية : {من رأى شيئاً يعجبه فقال: ما شاء الله لا قوة إلا بالله، لم تضره عين}.

(إن ترن أنا أقل منك مالا وولداً): الرؤية إما بصرية وإما علمية.

﴿ فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرٗا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا حُسۡبَانٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصۡبِحَ صَعِيدٗا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ ﴾

(فعسى ربي): لعل، وتفيد الرجاء بقرب وقوع ما يطلبه.

(أن يؤتين خيراً من جنتك): في الدنيا والآخرة، أو في الآخرة بسبب إيماني فالجنة خالدة والدنيا فانية.

(ويرسل عليها):أي على جنتك التي ظننت أنها لا تفنى أبداً ولا تبيد.

(حسباناً): قال ابن عباس والضحاك وقتادة: عذاباً من السماء أو صاعقة أو ناراً أو مطراً عظيماً يقلع زرعها وأشجارها.

(فتصبح): جنتك.

(صعيداً): أرضاً مستوية ملساء.

(زلقاً): لا تثبت عليه قدم فتزلق.

﴿ أَوۡ يُصۡبِحَ مَآؤُهَا غَوۡرٗا فَلَن تَسۡتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبٗا ﴿٤١﴾ ﴾

قال تعالى: ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَصۡبَحَ مَآؤُكُمۡ غَوۡرٗا فَمَن يَأۡتِيكُم بِمَآءٖ مَّعِينِۭ ﴿٣٠﴾ ﴾ (الملك: ٣٠) .

(أو يصبح ماؤها غوراً): يصبح ماؤها غائراً في الأرض لا يستطاع الوصول إليه.

(فلن تستطيع له طلباً): لن تقدر على ردّ الماء الذي غار في الأرض.

إن ترن أفقر منك فأنا أتوقع من الله أن يقلب ما بي وما بك من الفقر والغنى، فيرزقني لإيماني جنة خيراً من جنتك ويسلبك لكفرك نعمته فيخرب بساتينك.

وفيه دعاء من المؤمن على جنة الكافر، لأنها سبب غروره وطغيانه، فلعله يراجع نفسه ويرجع إلى رشده وإلى إيمانه وربه.

قال سيد قطب: " وهكذا تنتفض عزة الإيمان في النفس المؤمنة فلا تبالي المال والنفر ولا تداري الغنى والبطر ولا تتلعثم في الحق ولا تجامل فيه الأصحاب، وهكذا يستشعر المؤمن أنه عزيز أمام الجاه والمال وإن ما عند الله خير من أعراض الحياة، وأن فضل الله عظيم وهو يطمع في فضل الله، وأن نقمة الله جبارة وأنها وشيكة أن تصيب الغافلين المتبطرين".

﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ﴿٤٢﴾ ﴾

قال سيد قطب: " وفجأة ينقلنا السياق من مشهد النماء والازدهار إلى مشهد الدمار والبوار ومن هيئة البطر والاستكبار إلى هيئة الندم والاستغفار، فلقد كان ما توقعه الرجل المؤمن".

وأحيط بثمره: هلكت ثماره وأمواله.

وقع بالكافر ما كان قد خوفه به المؤمن من إرسال الحسبان على جنته التي اغتر بها وألهته عن الله عز وجل. استجاب الله دعاء المؤمن، فأحاط العذاب بصاحبه الكافر وأهلكه، فلم يبق من جنته شيء فندم أشد الندم على شركه وكفره بنعمة الله.

(فأصبح يقلب كفيه) : صار تقليب اليدين صورة للحسرة والندامة، وهو عادة النادمين.

قال قتادة: " يصفق كفيه متأسفاً متلهفا على الأموال التي أذهبها عليها".

(على ما أنفق فيها): أي ما صرف في عمارتها من المال والجهد.
(وهي خاوية على عروشها): خالية، أي أن كرومها المعرشة سقطت على الأرض أتلفها الحسبان الذي سلط عليها، وقيل أرسل الله عليها ناراً فأحرقها وغار ماؤها.
(ويقول يا ليتني لم أشرك بربي أحداً):
– هنا تذكر موعظة المؤمن، فعلم أنه أتي من جهة كفره وطغيانه فتمنى لو لم يكن مشركاً حتى لا يُهلك الله بستانه ولكن بعد أن صار في حال لا ينفعه فيه الندم.
– وكلامه توبة من الشرك، وندمٌ على ما كان منه، ودخول في الإيمان.

﴿ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾ ﴾

والمقصود أنه وقع بهذا الكافر ما خوّفه به المؤمن من إرسال الحسبان على جنته التي اغتر بها وألهته عن الله عز وجل. ثم تاب ورجع إلى ربه عز وجل لذلك ندم على شركه.
(فئة): جماعة أو عشيرة أو ولد ممن افتخر على صاحبه المؤمن بهم.
(ينصرونه من دون الله): يدفعون عنه العذاب الذي أنزله الله تعالى بجنتيه.

في هذا الموطن الذي حل به عذاب الله فلا منقذ له، فالقدرة الكاملة لله عز وجل.
(وما كان منتصراً): ما كان ممتنعاً بقوته عن انتقام الله.

(هنالك الولاية لله الحق): في موقف نزول العذاب كالذي حل بصاحب الجنتين تكون السلطة والقدرة لله وحده.
وهذا ما حدث مع فرعون، قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾ (يونس: ٩٠) .
(هو خير ثواباً): هو خير من يثبت الصالحين على أعمالهم.
(وخير عقباً): ولديه خير عاقبة لمن أطاعه ولم يشرك به شيئاً.
وفي العاقبة التي آل إليها صاحب الجنتين عبرة للمعتبر بأن المال والولد ليسا علامة محبة من الله، بل هما ابتلاء للإنسان، فمن شكر أحسن الله عاقبته ومن كفر لقي أسوأ العذاب.
قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ (سبأ: ٣٧) .
قال سيد قطب: " ويسدل الستار على مشهد الجنة الخاوية على عروشها، وموقف صاحبها يقلب كفيه أسفاً وندماً، وجلال الله يظلل الموقف حيث تتوارى قدرة الإنسان".
﴿ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ﴾
بعد أن ضرب الله مثلاً قصة صاحب الجنتين وما كان من عاقبة غروره بالدنيا، ها هو يضرب مثلاً للدنيا كلها يبين سرعة زوالها وانقضائها.

(كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض): بسبب الماء التف وتكثف نبات الأرض ونما وخالط بعضه بعضاً فشب وحسن وعلاه الزهر والنضرة.

(فأصبح هشيماً تذروه الرياح): أصبح يابساً، مهشوماً مكسراً ليناً، تفرقه الرياح وتطرحه ذات اليمين وذات الشمال.

(وكان الله على كل شيء مقتدراً): وكان الله قادراً على الإنشاء والإفناء لا يعجزه شيء.

فشبه حال الدنيا في نضرتها وبهجتها وما يعقبها من الهلاك والافناء، بحال النبات يكون أخضر ثم يهيج فتطيِّره الريح كأن لم يكن، والعاقل لا يغتر بالحياة الدنيا لأنها فانية ولو طالت مدتها، وزائلة ولو أعجبته زينتها.

قال سيد قطب: " ولقد استخدم النسق اللفظي في تقصير عرض المشاهد بالتعقيب الذي تدل عليه الفاء، (ماء أنزلناه من السماء) فـــ **(اختلط به نبات الأرض)** فـــ **(أصبح هشيماً تذوره الرياح)** فما أقصرها حياة! وما أهونها حياة!".

﴿ ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا ﴿٤٦﴾ ﴾

(المال والبنون): وهو ما يفتخر به الناس، ويتزينون به في الحياة الدنيا ويفنى عنهم عن قريب.

قال علي رضي الله عنه: " الحرث حرثان، فحرث الدنيا المال والبنون، وحرث الآخرة الباقيات الصالحات، وقد يجمعهن الله تعالى لأقوام" (تفسير القرطبي).

(والباقيات الصالحات): الباقيات اسم لأعمال الخير التي تبقى ثمراتها لأبد الآبدين مثل... الصلاة، الصوم، وأعمال الحج، والذكر ومنها: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: {خذوا جُنَّتكم من النار، قولوا: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، فإنهن يأتين يوم القيامة مقدمات ومعقبات ومجنبات وهن الباقيات الصالحات} (صحيح الجامع ج١/٣٢١٤) .

قال ابن عباس وسعيد بن جبير وغير واحد من السلف (الباقيات الصالحات) : الصلوات الخمس.

(خير عند ربك ثواباً): جزاءً يعود على صاحبها في الآخرة.

(وخير أملاً): لأنه وعد صادق، ولأن أكثر الآمال والوعود كاذبة.

المعنى: أن صاحب الباقيات الصالحات أمله في ثواب الله في الدنيا والآخرة أحسن من أمل ذلك الذي يأمل خدمة ماله أو أولاده، فالحرص على الباقيات الصالحات هو الأصل، لأنها تدل على أن صاحبها طالب للآخرة، وتدل على أنه قد وضع الدنيا موضعها الحقيقي، والمال والولد إلى زوال، كحال الدنيا كلها إلى زوال. والآية فيها تزهيد للمؤمنين في زينة الحياة الدنيا الفانية وتوبيخ للمفتخرين بها، المتعلقين بها، الغافلين عن الآخرة.

عن مولى لرسول الله ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: {بخ بخ لخمس ما أثقلهن في الميزان: لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله والولد الصالح يتوفى فيحتسبه والده} وقال: { بخ بخ لخمس، من لقي الله مستيقناً بهن دخل الجنة: يؤمن بالله واليوم الآخر وبالجنة وبالنار والبعث بعد الموت والحساب }(رواه الإمام أحمد) .

قال ابن عباس : (الباقيات الصالحات): " هي ذكر الله، قول لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله وتبارك الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، هي الكلام الطيب".

قال بعض أهل العلم : " لا ينجو من زينة الحياة الدنيا إلا من كان باطنه مزيناً بأنوار المعرفة وضياء المحبة ولمعان الشوق، وظاهره مزيناً بآداب الخدمة وشرف الهمة وعلو النفس وتغلب زينة باطنه زينة حب الدنيا شوقاً منه إلى ربه، وتغلب زينة ظاهره زينة الدنيا"

(تنوير الأذهان من تفسير روح البيان- الشيخ إسماعيل البروسوي ج٢/ص٣٨٧)

﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ ﴾

وينتقل السياق من الحديث عن زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات إلى الحديث عن يوم القيامة يوم تسيِّر الجبال.

(وترى): يا محمد ويا من يصلح للرؤية.

(الأرض): بجميع جوانبها، لا حجر ولا شجر ولا بناء فليس على الأرض ما يسترها.

(بارزة): بادية ظاهرة ليس فيها معلم لأحد ولا مكان يواري أحداً.

(وحشرناهم): جميعاً أهل الإيمان والكفر إلى الموقف.

(فلم نغادر): فلم نترك.

(منهم أحداً): جمعنا الأولين والآخرين فلم نترك منهم أحداً لا صغيراً ولا كبيراً.

قال النسفي: " وإنما قال وحشرناهم (ماضي) بعد نسير وترى، للدلالة على حشرهم قبل التسيير وقبل البروز ليعاينوا تلك الأهوال".
كأنه قيل: وحشرناهم قبل ذلك.

قال سيد قطب: "إنه مشهد تشترك فيه الطبيعة، ويرتسم الهول فيه على صفحاتها وعلى صفحات القلوب، مشهد تتحرك فيه الجبال الراسخة فتسير، فكيف بالقلوب، وتتبدى فيه الأرض عارية، وتبرز فيها صفحتها مكشوفة لا نجاد فيها ولا وهاد ولا جبال فيها ولا وديان، وكذلك تتكشف خبايا القلوب فلا تخفى منها خافية".

﴿ وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ ﴾

(وعرضوا): أي الخلائق المحشورون يوم القيامة.
(على ربك): للحساب.
(صفاً): مصطّفين ظاهرين، فلا يحجب أحد أحداً، صفوفاً يقف بعضهم وراء بعض غير مختلطين ولا متفرقين كأنهم جند معروضون على السلطان ليحكم فيهم.
ويقال لهم:
(لقد جئتمونا): بعثناكم وحشرناكم كما (خلقناكم) هذا تقريع للمنكرين للمعاد، وتوبيخ لهم على رؤوس الأشهاد.
(أول مرة): حفاة عراة لا شيء معكم من المال والولد.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت يا رسول الله: كيف يحشر الناس يوم القيامة؟ قال: {حفاة عراة غرلا} قالت: الرجال

والنساء جميعاً، ينظر بعضهم إلى بعض، قال: {الأمر أشد من أن يهمهم ذلك} وفي رواية: {من أن ينظر بعضهم إلى بعض}
(البخاري ومسلم والنسائي) .
وفي رواية: قال تعالى: ﴿ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ ﴾
(عبس ٣٧)
(جامع الأصول ١٠/٤٢٦) .
بل زعمتم: أيها الكافرون بالله والمنكرون للبعث، أنكم بالموت تفنون.
و(ألن نجعل لكم موعداً): بقيام الساعة والبعث من القبور والحساب.
والآية تشير إلى عزته تعالى وعظمته وإظهار صفة جلاله وقهره وآثار عدله لينتبه النائمون من نوم غفلتهم، ويتأهب الغافلون بأسباب النجاة لذلك اليوم ويصلحون أمر سريرتهم وعلانيتهم لخطاب الحق تعالى وجوابه، إليه المرجع والمآب والعرض على الله هو العرض الأكبر، والآية توبيخ وتقريع للكفار.
قال عتبة الخواص: " بات عندي عتبة الغلام فبكى حتى غُشي عليه، فقلت ما يبكيك؟ قال: ذكر العرض على الله، قطّع أوصال المحبين".
وحكي أن سليمان بن عبد الملك وهو سابع خلفاء بني مروان قال لأبي حازم:
ما لنا نحب الدنيا ونكره الآخرة؟
قال: لأنكم عمرتم الدنيا وخربتم الآخرة، فتكرهون الانتقال من العمران إلى الخراب.
فقال: صدقت يا أبا حازم، فيا ليت شعري ما لنا عند الله غداً.
قال: إن شئت تعلم ذلك ففي كتاب الله.

فقال: أين أجده؟

قال في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ ﴾ (الانفطار: ١٣-١٤)

قال: فكيف يكون العرض على الله تعالى؟

قال: أما المحسن فكالغائب، يقدم على أهله مسروراً، وأما المسيء فكالآبق يقدم على مولاه محسوراً.

فبكى سليمان بكاءً شديداً.

﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾

(ووضع الكتاب): صحف الأعمال في أيمان أصحابها أو في الميزان.

(فترى المجرمين): الكافرين.

(مشفقين): خائفين.

(مما فيه): من الذنوب والأفعال القبيحة والأعمال السيئة. أو من ظهورها لأهل الموقف.

(ويقولون): عند وقوفهم على التفاصيل تعجباً من شأنه.

(يا ويلتنا): يا حسرتنا وويلنا على ما فرطنا في أعمارنا، نداء يا هلكتنا احضري وتعالي فهذا أوانك.

(مال هذا الكتاب): قال البقاعي: مال: حرف الجر فيه إشارة إلى أنهم صاروا من قوة الرعب وشدة الكرب يقفون على بعض الكلمة.

(لا يغادرٍ صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها): لا يترك ذنباً صغيراً ولا كبيراً ولا عملاً وإن صغر إلا أحصى جميع ذلك، ضبطها وحفظها.

قال رسول الله ﷺ: {إياكم ومحقرات الذنوب فإن مثل محقرات الذنوب كمثل قوم نزلوا بطن وادٍ فجاء ذا بعود وجاء ذا بعود حتى طبخوا أخبزهم} (رواه أحمد) .

وعن سعد بن جنادة قال: لما فرغ رسول الله ﷺ من غزوة حنين، نزلنا قفراً من الأرض ليس فيه شيء فقال ﷺ: {اجمعوا من وجد عوداً فليأت به، ومن وجد حطباً أو شيئاً فليأت به} قال: فما كان إلا ساعة حتى جعلناه ركاماً. فقال ﷺ: {أترون هذا، فكذلك تجمع الذنوب على الرجل منكم كما جمعتم هذا، فليتق الله رجل ولا يذنب صغيرة ولا كبيرة فإنها محصاة عليه} (رواه الطبراني) .

(ووجدوا ما عملوا حاضرا)ً: مثبتاً في كتابهم أو في الصحف من السيئات التي ارتكبوها، قال الله تعالى: ﴿ يَوۡمَ تَجِدُ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ مِنۡ خَيۡرٖ مُّحۡضَرٗا وَمَا عَمِلَتۡ مِن سُوٓءٖ تَوَدُّ لَوۡ أَنَّ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَهُۥٓ أَمَدَۢا بَعِيدٗاۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ٣٠ ﴾ (آل عمران: ٣٠) ، وقال سبحانه: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ فَنَتَبَرَّأَ مِنۡهُمۡ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّاۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ١٦٧ ﴾ (البقرة: ١٦٧) .

(ولا يظلم ربك أحداً): لا يكتب عليه ما لم يعمل أو يزيد في عقابه الملائم لعمله، أو يعذبه بغير ذنب لأن الله الحاكم العادل الذي لا يجور ولا يظلم.

عن عبد الله بن أنيس قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: {يحشر الله عز وجل الناس يوم القيامة، أو قال العباد عراة غرلاً بُهماً} قلت: وما بُهماً؟ قال ﷺ: {ليس معهم شيء، ثم يناديهم بصوت يسمعه من بَعُدَ كما يسمعه من قرب: أنا الملك، أنا الديان لا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار وله عند أحد من أهل الجنة حق حتى أقصه منه، ولا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة وله عند رجل من أهل النار حق حتى أقصه منه حتى اللطمة} قال: قلنا كيف وإنما نأتي الله عز وجل حفاة عراة غرلاً؟ قال ﷺ: {بالحسنات والسيئات}

(رواه الإمام أحمد) .

وقال تعالى: ﴿ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ ﴾ (القيامة: ١٣) .

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ﴾

(وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم): واذكر يا محمد إذ قلنا للملائكة اسجدوا، سجود تشريف وتكريم وتحية، لا سجود عبادة.

(فسجدوا): جميعاً.

(إلا إبليس): لم يسجد أبى واستكبر.

قال تعالى: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ (الحجر: ٢٩) .

قال ابن كثير: ابليس خانه أصله، لأنه خلق من مارج من نار، أما الملائكة خلقت من نور.

عن عائشة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ انه قال: {خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم} (صحيح الجامع ج١/٣٢٣٨) .

(إبليس): تشبه بالملائكة فلهذا دخل في خطابهم لكنه عصى بالمخالفة ورجع لأصله.

فعصى وقال: ﴿ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾ (الأعراف: ١٢) .

قال ابن كثير: " يقول الله منبها بني آدم على عداوة إبليس لهم ولأبيهم من قبلهم ومقرعاً لمن اتبعه منهم وخالف خالقه ومولاه، وهو الذي أنشأه وابتدأه وبألطافه رزقه وغذاه، ثم بعد هذا كله والى إبليس وعادى الله".

قال البغوي: " سمي إبليس لأنه أبلس من الرحمة أي يئس ففسق عن أمر ربه، وخرج عن طاعة الله، وجعل عدم امتثاله للأمر خروجاً عنه".

(أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني): والاستفهام للاستنكار والتعجب. كأنه قيل وعقب علمكم بمعصية الشيطان ربه ورفضه السجود لآدم تتخذونه وذريته أي أولاده وأتباعه أولياء من دوني وتستبدلونهم بي.

(أولياء من دوني): فتطيعونهم بدل طاعتي، وهذا منكر غاية الإنكار.

(وهم لكم عدو): شديدو العداوة منذ عهد أبيكم آدم والمطلوب أن تتخذوه عدواً لا ولياً، (إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً) (فاطر: ٦).

قال سيد قطب: " واتخاذ إبليس وذريته أولياء يتمثل في تلبية دواعي المعصية والتولي عن دواعي الطاعة".

بئس للظالمين بدلاً: من الله إبليس وذريته، لمن أطاعه بدل طاعة الله.

﴿ مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا ﴿٥١﴾ ﴾

(ما أشهدتهم خلق السموات والأرض): إشارة إلى غناه تعالى عن خلقه، ونفي مشاركتهم في الألوهية.

(والمعنى): أنكم اتخذتموهم شركاء لي في العبادة، وإنما يكونون شركاء فيها لو كانوا شركاء في الإلهية، فنفيُ مشاركتهم في الإلهية ينفي شهودهم خلق السموات والأرض لعدم احتياجه إليهم لا في الخلق ولا في المشاورة.

(ولا خلق أنفسهم): ولا أشهدت بعضهم خلق بعض.

وما كنت متخذ المضلين عضداً: ما كنت متخذا الشياطين المضلين أعوانا وأنصاراً في شأن من شؤوني.

فإذا لم يكونوا لي عضداً في الخلق فما لكم تتخذونهم شركاء لي في العبادة.

(والمعنى): الله سبحانه المستقل بخلق الأشياء كلها ومدبرها ومقدرها وحده ليس معه شريك ولا وزير ولا نظير، فكيف تتخذون عبيداً أمثالكم أولياء من دون الله وهم لا يملكون شيئاً، وكيف تتخذون الشيطان ولياً؟.

واتخاذ الشيطان ولياً هو بداية كل شر، وبداية كل كفر، وبداية كل فسوق، وبداية كل فكرة ظالمة أو كافرة، وبداية السير في طريق الشهوة والخسارة، وهو العامل في تزيين الحياة الدنيا.

وهذا البيان لتحرير الناس منه ومن ولايته، وحتى يستسلموا لربهم، وبعد أن بين الله أن هؤلاء الذين اتخذهم الكافرون أولياء ليس لهم علاقة في الخلق فكذلك لا حول لهم ولا طول يوم القيامة فخلق هذا شأنهم كيف يُتخذون آلهة وأربابا؟؟؟
وهذا ما تبيّنه الآيات التالية...

﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾ ﴾

ويوم يقول: يوم يقول الله للكفار توبيخاً وتقريعاً وتعجيزاً في يوم القيامة.

(نادوا شركائي الذين زعمتم): زعمتم في الدنيا أنهم شركاء، فادعوهم اليوم لينقذوكم مما أنتم فيه.

(شركائي): أضافهم إليه على زعمهم في الدنيا تهكماً بهم.

(الذين زعمتم): ادعيتم أنهم شفعاؤكم ليشفعوا لكم، والمراد بهم (كل من عبد من دونه تعالى).

(فدعوهم): نادوهم للإعانة.

(فلم يستجيبوا لهم): لم يغيثوهم ولم يدفعوا عنهم ضراً.

(وجعلنا بينهم): جعلنا بين الداعين والمدعوين.

(موبقاً): اسم مكان من وبق، وموبقاً: مهلكاً يشتركون فيه وهو النار.

وقال قتادة ذكر لنا أن عمر البكائي حدث عن عبد الله بن عمرو قال: هو واد عميق فُـرّق به يوم القيامة بين أهل الهدى وأهل

الضلالة، وقال قتادة: موبقاً: واديا في جهنم، والحسن البصري: موبقاُ: عداوة.

قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ (الروم: ١٤)

وفسر بعض المفسرين الآية **(وجعلنا بينهم موبقاً)** جعل الله بين المشركين وبين من عبدوهم من الملائكة وعزير وعيسى أمداً بعيداً، فالكافرون في قعر جهنم والملائكة وعيسى في أعلى الجنان.

قال ابن كثير في تفسير موبقاً: الظاهر من السياق ههنا أنه المهلك، ويجوز أن يكون وادياً في جهنم، والمعنى: أن الله تعالى بيّن أنه لا سبيل لهؤلاء المشركين ولا وصول لهم إلى الهتهم التي كانوا يزعمون في الدنيا، وأنه يفرق بينهم وبينها في الآخرة، فلا خلاص لأحد من الفريقين إلى الآخر بل بينهما مهلك وهول عظيم وأمر كبير.

(ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفاً):

(ورأى المجرمون النار): رأى المجرمون النار حين أمروا بالسوق إليها.

(فظنوا أنهم مواقعوها): قال ابن كثير: تحققوا لا محالة أنهم مواقعوها ليكون ذلك من باب تعجيل الهم والحزن لهم، فإنَّ توقع العقاب والعذاب والخوف منه عذاب واقع.

(ولم يجدوا عنها مصرفاً): أي مكاناً ينصرفون إليه ويحتمون به لأن جهنم أحاطت بهم من كل جانب فليس لهم طريق يعدل بهم عنها وهذه المعاينة لجهنم تكون عندما يؤتى بجهنم تقاد بسبعين ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك فهذه هي عاقبة اتخاذ الشيطان ولياً من دون الله.

قال سيد قطب: " ويتطلع المجرمون فتمتلئ نفوسهم بالخوف والهلع وهم يتوقعون في كل لحظة أن يقعوا فيها، وما أشق توقع العذاب وهو حاضر وقد أيقنوا أن لا نجاة منها ولا محيص".

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ ﴾

(ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس): كررنا ذكر الأمثال وهو قسم بأن الله عز وجل كرر الأمثال وأدارها على وجوه كثيرة من النظم. وهذا البيان والتكرار والنظم لمصلحة الناس ولمنفعتهم ولما يحتاجون إليه.

(من كل مثل): ليتذكروا وليتعظوا.

(وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً): الإنسان بحسب جبلته يحب الجدل والخصومة والمماراة بالباطل، فجدل الإنسان أكثر من جدل كل شيء.

لآية جاءت بعد بيان عقوبة الذين اتخذوا الشياطين أولياء، مبيناً أن الله قد وضح لهم في هذا القرآن الأمور وفصلها كي لا يضلوا عن الحق ولا يخرجوا عن الهدى، ومع هذا فإن الإنسان مجادل مخاصم معارض للحق بالباطل، إلا من هداه الله.

قال رسول الله ﷺ: {ما ضل قوم بعد هُدىً كانوا عليه إلا أُوتوا الجدل} (رواه الترمذي، ابن ماجة، وأحمد) .

يبين الله أنه جل جلاله ما ترك مانعاً يمنع أحداً من الإيمان إلا هدَّمه لولا طبيعة الإنسان الكافر.

قال سيد قطب: " ويعبر السياق عن الإنسان في هذا المقام بأنه (شيء) وأنه أكثر شيء جدلاً، ذلك كي يطامن الإنسان من كبريائه،

ويقلل من غروره، ويشعر أنه خلق من مخلوقات الله الكثيرة، وأنه أكثر هذه الخلائق جدلاً بعد ما صرَّف الله في هذا القرآن من كل مثل".

﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ ﴾

(وما منع الناس أن يؤمنوا): بالله تعالى ويتركوا الشرك الذي هم عليه.

(إذ جاءهم الهدى): ببعثة الرسول ﷺ محمد ونزول القرآن الكريم عليه.

(ويستغفروا ربهم): من كل أنواع الذنوب على ما فرطوا في جنب الله عز وجل بالاشراك به وبمعاصيهم بكل ألوانها.

(إلا أن تأتيهم سنة الأولين): سنة الله وعادته في الأمم الماضية وهو استئصال الكفار بالعذاب المهلك.

(أو يأتيهم العذاب قبلاً): يأتيهم عذاب الآخرة عياناً لهم أو يوقفوا على جهنم.

وقال محمد حسنين مخلوف: " ما منع كفار مكة من الإيمان بالله ونبذ الشرك ومن الاستغفار مما فرط منهم من الآثام إلا تقدير الله إتيانهم ما جرت به سننه في الأمم المكذبة السابقة من الهلاك الدنيوي أو العذاب الآخروي أو إرادته تعالى على ذلك بناء على ما علم سبحانه من سوء استعدادهم وخبث نفوسهم".

﴿ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوًا ﴿٥٦﴾ ﴾

وما نرسل المرسلين: إلى الأمم.
إلا مبشرين: لمن آمن بهم وصدقهم أي للمطيعين بالثواب والدرجات.
ومنذرين: لمن كذبهم وخالفهم أي للكافرين والعاصين بالعقاب وجهنم.
(ويجادل الذين كفروا): الرسل المبشرين والمنذرين بالباطل مشككين في رسالتهم منكرين الإيمان بالله.
(ليدحضوا به الحق): ليزيلوا ويبطلوا ويضعفوا بجدالهم الحق الذي جاءت به الرسل وليس ذلك بحاصل لهم، وهذا يدل أن ما بُعث به الرسل هو الحق ولا حجة لكافر وإنما جدال للباطل وبالباطل.
(واتخذوا): أي الكافرين.
(آياتي): الدالة على الوحدة والقدرة، والحجج والبراهين وخوارق العادات التي بعث بها الرسل.
(وما أنذروا): ما خوفوا به من العذاب في الدنيا والآخرة.
(هزواً): سخرية أي استهزاء.
قال ابن كثير: " يخبر تعالى عن تمرد الكفرة في قديم الزمان وحديثه وتكذيبهم بالحق البين الظاهر مع ما يشاهدون من الآيات والدلالات الواضحات وأنه ما منعهم من اتباع ذلك إلا طلبهم أن يشاهدوا العذاب الذي وعدوا به عياناً كما قال أولئك لنبيهم : ﴿ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ ﴾ (الشعراء ١٨٧) .

﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعۡرَضَ عَنۡهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُۚ إِنَّا جَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۖ وَإِن تَدۡعُهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ فَلَن يَهۡتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدٗا ﴿٥٧﴾ ﴾

(ومن أظلم): استفهام على سبيل النفي والتوبيخ، أي ليس هناك أشد ظلماً.

(ممن ذكر بآيات ربه): وعظ بآيات القرآن الكريم.

(فأعرض عنها): فلم يستمع إليها ولم يتفكر فيها.

(ونسي ما قدمت يداه):من الكفر والمعاصي ولم يعرف عاقبتها ونسي أن الجزاء لا بد منه للمحسن وللمسيء.

وسبب ذكره (يداه) أن الإنسان يباشر أكثر أعماله بيديه، غلب الأعمال باليدين على غيرها حتى قيل في عمل القلب هذا ما عملت يداك.

قال بعضهم: أحق الناس تسمية بالظلم من يرى الآيات فلا يعتبر بها ويرى طريق الخير فيعرض عنها ويرى مواقع الشر فيتبعها ولا يجتنب عنها.

(إنا جعلنا على قلوبهم أكنة): أغطية وهو تعليل لإعراضهم ونسياهم بأهم مطبوع على قلوبهم.

(أن يفقهوه): الفقه: الوقوف على كنه الآيات، فالأكنة على القلوب لئلا يفهموا هذا القرآن الذي فصله الله وصرفه وضرب فيه من كل مثل.

(وفي آذانهم وقراً): جعلنا في آذاهم صمما وثقلاً يمنعهم عن استماعه.

قال ابن كثير: صمماً معنوياً عن الرشاد،قال النسفي: ثقلاً عن استماع الحق.

ومن ظلم نفسه بالإعراض عن آيات الله وفعل المعاصي ينال عقوبته في الدنيا فيطبع على قلبه وتصم أذناه عن كل خير وهدى والجزاء من جنس العمل.

(وإن تدعهم إلى الهدى): إلى الإيمان وإلى طريق الفلاح وهو الإسلام.

(فلن يهتدوا إذاً أبداً): لن يكون منهم اهتداء مطلقاً مدة التكليف كلها حتى لا يظن ظان أن جعل الحجاب على قلوبهم والوقر في آذانهم ظلمٌ أو قسوة، بين الله تعالى أنه الغفور ذو الرحمة الواسعة فلم يعاقبهم هذا العقاب إلا لاستحقاقهم الكامل له.

﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾ ﴾

(وربك الغفور): البليغ في المغفرة، وهي صيانة العبد عما استحقه من العقاب، بالتجاوز عن ذنوبه.

(ذو الرحمة): الموصوف بالرحمة وهي الإنعام على الخلق، وعلامة رحمته عدم تعجيل العذاب.

(لو يؤاخذهم بما كسبوا) : لو يحاسبهم بما عملوا ويعاملهم بما يستحقون، لعجل لهم العذاب في الدنيا بلا إمهال ولكنه لم يعجل ولم يؤاخذهم بغتة.

(بل لهم موعد): يوم القيامة.

(ولن يجدوا): حين يجيء الموعد.

(من دونه): من غيره تعالى.

(موئلا): منجى وملجأ.

قال سيد قطب: " في قوله تعالى: ﴿بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلاً﴾ موعد في الدنيا يحل بهم فيه شيء من العذاب وموعد في الآخرة يوفون فيه الحساب".

﴿ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴾

(وتلك القرى): قرى عاد وثمود وأمثالهم على مر الزمان.

(أهلكناهم): أهلكناهم وقت ظلمهم مثل ظلم أهل مكة بالتكذيب والجدال وأنواع المعاصي.

(وجعلنا لمهلكهم): عيّناً لهلاكهم.

(موعداً): وقتاً محدداً لا يتقدم ولا يتأخر وتلك سنته تعالى، وفي هذا تحذير للكافرين في كل زمان ومكان.

أزمة موسى والعلم

تحدثت سورة الكهف عن أزمة وقع فيها موسى عليه السلام لم يجد لها حلاً إلا لدى رجل لم يحدد الله تعالى له موقعه، بل جعل لذلك الموقع علامة، هي أن يجعل معه مكتلاً فيه سمكة، فإذا فقدت السمكة في مكان فهناك يجد ذلك العبد الصالح الذي يحل له أزمته، ولنستمع إلى الحديث النبوي يوضح لنا ملابسات أو مقدمات اللقاء بين موسى والعبد الصالح فيما رواه البخاري: (أن موسى قام خطيباً في بنِي إسرائيل، فسئل: أي الناس أعلم؟ قال: أنا، فعتب الله عليه إذ لم يرُدَّ العلم إليه، فأوحى الله إليه: إن لي عبداً بمجمع البحرين هو أعلم منك، قال موسى: يا رب وكيف لِي به، قال: تأخذ معك حوتاً فتجعله بمكتل فحيثما فقدت الحوت فهو ثَمّ) .

لقد أحس موسى عليه السلام أنه وقع في أزمة، إذ لم يردَّ العلم إلى الله تعالى، بعد أن جاءه العتاب، وتولد لديه الشوق إلى لقاء هذا الرجل الذي هو أعلم منه، ولذلك جاء قوله لفتاه:

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ ﴾

ولنقف على قوله: لا أبرح: أي لا أزال سائراً، وسبب هذا القول أن الموقع لم يحدد، فعليه أن يمضي حتى يجد العلامة الدالة على مكان العبد الصالح.

ولنقف مرة أخرى على قوله (أو أمضيٍ حقباً).

وقد أورد المفسرون في الحقب أقوالاً: حقبا من الزمان، أو سنة، أو ثمانون سنة، أو دهراً، ودلالة القول: السير حتى يبلغ غايته مهما ينفق في ذلك من الزمن.

والمقدمات التي أحاطت بالأزمة توحي بالرمزية في العلم الذي سيلقاه لدى العبد الصالح، وقد يرد علينا سؤال هو لماذا لم يحدد (مجمع البحرين) ولم يعين له أين يجده في ذلك المجمع؟ ونمضي مع موسى عليه السلام في أزمته بين موقف مضى مع قومه عوتب عليه، وموقف مقبل عليه لا يدري كيف سيكون حاله فيه.

وأسئلة تراوده: أي علم لدى هذا الرجل ليس عندي وأنا قد أنزلت عليَّ التوراة؟ .

وتنتقل الأزمة في الطريق من موسى إلى فتاه الذي لم يكن على علم بالعلامة الدالة على مكان العبد الصالح، فقد كان يحمل المكتل وفيه (السمكة / الحوت) التي كانت معدة للغداء وفي موضع من الطريق نزلا إلى صخرة، وعندما قاما نسيا المكتل وفيه السمكة، وانطلقا ويبدو أن الفتى تذكر السمكة والمكتل بعد قليل من الانطلاق، فرجع إلى الصخرة، فوجد المكتل فارغاً ووجد الحوت قد اتخذ طريقاً إلى البحر القريب من خط سيرهما، وعقدت الدهشة لسان الفتى، وخاف أن يخبر موسى بالأمر، فطوى الخبر، ومضى مع موسى، حتى جاءه طلب الغداء المصحوب بالشكوى من العناء:

﴿ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدۡ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبٗا ﴾

وهنا يكشف الفتى عن أزمته مع الحوت لتكون حلا لأزمة موسى في البحث عن مكان العبد الصالح، ولتبدأ سلسلة من الأزمات بين موسى والعبد الصالح الذي يرى منه ما يثير الدهشة ويطلق اللسان، لتنكشف رموز لما يجري في الحياة من أقدار تحل أزمات الناس وهم في غفلة عن الحكمة الكامنة فيها.

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ ﴾

حدثنا ابي بن كعب رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: {إن موسى قام خطيبا في بني إسرائيل فسئل أي الناس أعلم؟ فقال: أنا، فعتب الله عليه إذ لم يردّ العلم إليه فأوحى الله إليه أن لي عبداً بمجمع البحرين هو أعلم منك، قال موسى: يا رب وكيف لي به؟ قال: تأخذ معك حوتاً فتجعله بمكتل فحيثما فقدت الحوت فهو ثمّ}

(رواه البخاري) .

وإذ قال موسى لفتاه: اذكر وقت قول موسى بن عمران لما فيه من العبرة.

(لفتاه): لمرافقه.

(لا أبرح): لا أزال سائراً.

(حتى أبلغ مجمع البحرين): أي المكان الذي فيه مجمع البحرين ولم يحدد لنا القرآن موضعه.

(أو أمضي حُقباً): أظلّ سائراً دهراً طويلاً حتى أجد هذا العالم.

وهذا إخبار من موسى بأنه وطّن نفسه على تحمل التعب الشديد والعناء العظيم في السفر لأجل طلب العلم. وفي ذلك تنبيه على أن المتعلم لو سار من المشرق إلى المغرب يطلب مسألة واحدة لحق له ذلك.

﴿ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ ﴾

ووصل موسى وفتاه مجمع البحرين لكنهما لم يعرفا ذلك، وقد جعل الله تعالى له علامة تدل عليه (فلما بلغا مجمع البحرين) ...

(نسيا حوتهما): نسي الفتى المكتل الذي فيه الحوت ولم يتنبه موسى إلى ذلك.

(فاتخذ): الحوت. والحوت هو السمكة.

(سبيله): طريقه.

(في البحر سرباً): فأحيا الله الحوت وسار من البر إلى البحر وترك من بعده أثراً يدل على ذلك.

﴿ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴾

(فلما جاوزا): مجمع البحرين الذي جعل موعداً للملاقاة، أحس موسى بالجوع.

(قال): موسى عليه السلام لفتاه.

(آتنا غداءنا): وهو الحوت الذي أعده طعاماً في الرحلة وعلامة على مجمع البحرين.

(لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً): يدل على أن رحلته لم تكن مريحة ولذلك أعلن لفتاه أنه أصابه التعب والإعياء.

﴿ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ ﴾

(قال أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة): قال فتى موسى له رداً على طلب الغداء وممهداً لما كان منه من نسيان الحوت،(أوينا إلى الصخرة) ويبدو أن تلك الصخرة كانت مميزة تلفت النظر ولا تنسى (فإني نسيت الحوت) نسيت المكتل الذي فيه الحوت، ثم رجعت إليه فلم أجد الحوت، ووجدته قد رجع إلى الماء، فخشيت أن أذكر لك ذلك. وردَّ الفتى النسيان إلى الشيطان (وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره) وقد نسب النسيان إلى الشيطان حتى لا يلومه موسى على ذلك، ثم ذكر لموسى ما عرف به أن تلك الصخرة عند مجمع البحرين (واتخذ سبيله في البحر عجباً) ويبدو أن هذه العلامة لم يطلع موسى فتاه عليها، وإلا لعرفها عندما رأى أثر الحوت متجهاً نحو البحر، وقول الفتى (عجباً) لأن الحوت كان مطبوخاً فمن العجب أن تدب فيه الحياة ويعود إلى الماء، وتلك من خوارق العادات التي يجريها الله تعالى لأنبيائه معجزات، وللصالحين من عباده كرامات.

﴿ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ ﴾

(قال): موسى عليه السلام.

(ذلك): الذي ذكرت من أمر الحوت.

(ما): الذي.

(كنا نبغ): نبغيه ونطلبه لكونه علامة على مكان العبد الصالح.

(فارتدا): رجعا من ذلك المكان.

(على آثارهما): طريقهما الذي جاء منه.

(قصصا): يتبعان آثارهما اتباعاً، ويتفحصانه تفحصاً حتى رجعا إلى الصخرة التي نسيا الحوت عندها ورجع إلى البحر واتخذ سبيله سرباً وذلك الموضع هو مجمع البحرين.

أزمة موسى والعبد الصالح

لقي موسى العبد الصالح في مجمع البحرين، بعد أن رأى العلامة التي تدله على مكان وجوده، وهي علامة خارقة للمألوف: أن يتخذ حوت طريقه إلى البحر سرباً بعد أن شوي ومُلِّح!!

إننا في جو بدأ بالدهشة وهي فيه سيدة الموقف! ونجد العبد الصالح منذ البداية يحذر موسى بأنه لن يستطيع الصبر على ما يراه منه! ﴿ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ ﴾ **مع التعليل لما سيطرأ عنده من قلة الصبر** ﴿ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ ﴾ **وكما ورد في الحديث أن العبد الصالح قال لموسى: " يا موسى إني على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه أنت، وأنت على علم من علم الله علمكه لا أعلمه".**

ولعل هذا القول زاد موسى رغبة في الاستكشاف، وزاد إحساسه بالأزمة العلمية التي كانت شرارة الرحلة ومنطلقها، ونلمس الإصرار لديه في قوله: ﴿ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ ﴾ .

إنهما الصبر والطاعة زاد موسى في صحبة العبد الصالح، اتخذهما ليستكشف ما لم يكن عنده علم به.

ولا بد من التمهيد قبل الدخول في الرحلة مع موسى والعبد الصالح بالإشارة إلى وصف القرآن لهذا العبد الصالح: ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ ﴾. وقد تم تقديم الرحمة على العلم في وصف العبد الصالح لأمر مهم سنجده في سياق الحديث عن المواقف الثلاثة التي شهدها موسى مع العبد الصالح، وولّد كل موقف منها أزمة لديه، مع أن ما قام به العبد الصالح كان رحمة من الله تنزلت من خلاله لحل أزمة من الأزمات.

لقد وضع العبد الصالح شرطاً للصحبة: الصبر على ما يراه حتى يكون البادئ بالحديث عنه العبد الصالح وظن موسى أنه قادر على الوفاء بالشرط، طمعا في الحصول على العلم الذي لم يكن لديه من قبل.

لقد حدثنا القرآن الكريم عن مواقف ثلاثة كانت من العبد الصالح، واستفز كل موقف منها موسى.

▪ **الموقف الأول:** العبد الصالح والسفينة: ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ ﴾ والذي يلفت النظر في موقف موسى عليه السلام أنه لم يسأل بل اعترض، واتهم بهذا الاعتراض من سار معه ليتعلم منه علماً لا علم له به! ولم يضبط نفسه بأن يرجع إلى الشرط الذي اتفقا عليه، وبأن

يتهم نفسه بعدم إدراك الغاية، لا اتهام هذا العالم – العبد الصالح بفعل ما لا يناسب الموقف!.

وقد جاء الرد الهادئ الرزين من العبد الصالح العالم ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ ﴾ .

واستذكر موسى الشرط الذي اتفقا عليه فاعتذر بالنسيان وألا يرهقه من أمره عسرا!!. ويبدو أن موسى أحس بالرهق مما رأى من موقف لا يستطيع السكوت عليه.

■ **وتكرر الأمر مرة أخرى في موقف أشد من الأول: موقف** قتل نفس زكية بغير نفس! ولذلك جاء الاعتراض ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ ﴾ وتكرر التذكير وتكرر الاعتذار مع شرط ألا يسأل فإن سأل انفكت الصحبة.

■ **وجاء الموقف الثالث:** موقف قلة المروءة من أهل القرية الذين لم يكرموا الضيف الذي طلب الطعام مع أنه حقه من غير طلب، ثم تقديم الإحسان إلى قرية أهلها لا يحسنون استقبال الناس! إنها أزمات أثارت موسى عليه السلام، وخفيت عليه الرحمات الكامنة فيها، وذلك ما بينه له العبد الصالح قبل الفراق.

د. مأمون فريز جرار

﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾

قال سيد قطب: " ويبدو أن ذلك اللقاء كان سر موسى وحده مع ربه فلم يطلع عليه فتاه حتى لقياه ومن ثم ينفرد موسى والعبد الصالح في المشاهد التالية للقصة".

(فوجدا عبداً من عبادنا): فلما رجعا إلى مجمع البحرين وجدا العالم الذي بين الله تعالى لموسى أنه أعلم منه وقوله **(من عبادنا)**: إضافة للتشريف، وكان مغطى بثوب فسلم عليه موسى وعرّفه نفسه وأفاد أنه جاء لأجل التعلم والاستفسار.

وجمهور أهل العلم: على أنه الخضر وهو لقبه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: **{إنما سمي خضراً لأنه جلس على فروة بيضاء فإذا هي تحته تهتز خضراء}**

(مسند الإمام أحمد) .

(آتيناه رحمة من عندنا): تتجلى على من يتصل به فينقذه من مأزق.

(وعلمناه من لدنا علماً): علم حقائق الأشياء التي لم يكن موسى على علم بها.

(قال له موسى): للخضر عليهما السلام.

(هل أتبعك): هل أصحبك، سؤال تلطف لا على وجه الإلزام.

(على أن تعلمن): على شرط أن تعلمن.

وهو استئذان منه في اتباعه له على وجه التعليم ليكتشف العلم الذي عنده مما لا يعلم.

(مما علمت رشداً): استرشد به وازداد به علماً على ما عندي من علم.

قال قتادة: لو كان أحد مكتفياً من العلم لاكتفى نجّي الله موسى عليه السلام.

قال الشيخ بسام جرار: " نجد أن سورة الكهف تورد قصة لموسى عليه السلام تختلف تماما عن القصص الواردة في القرآن الكريم فيما يخص موسى عليه السلام، فأنت تجد أن قصة موسى عليه السلام في سورة الكهف لا تتعلق ببني إسرائيل إطلاقاً وهذا أمر لافت للانتباه، ثم تجد أن موسى عليه السلام يكون في هذه القصة تابعاً لا متبوعاً، قال تعالى: (هل أتبعك على أن تعلمن...) وهذا أمر لم يتكرر في القرآن الكريم في حق أي نبي من الأنبياء مما قد يشير إلى أنه دعوة لليهود الذين يزعمون أنهم أتباع لموسى عليه السلام والذين هم أهل كِبْرٍ أن تواضعوا كموسى عليه السلام فاتبعوا من يملك العلم المنزل من الله".

﴿ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْـَٔلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ ﴾

(قال):الخضر عليه السلام مبيناً لموسى اختلاف علمهما الذي سيؤدي إلى قصر صحبتهما.

(إنك لن تستطيع معي صبراً): نفى عنه استطاعة الصبر معه على وجه التأكيد، وذلك دليل على علمه بحقائق الأشياء، وعلل ذلك بقوله:
(وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً) ، يا موسى إني على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه أنت، وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه، ولكنك لا تستطيع الصبر على أمور لا تعرف حكمة الله فيها.

قال ستجدني إن شاء الله صابراً: قال موسى ستجدني صابراً معك غير معترض عليك. طالباً للتوفيق في الصبر علما منه بشدة الأمر وصعوبته، ورغبة منه في معرفة ما عليه الخضر من العلم.
(ولا أعصي لك أمراً): لا أخالفك في شيء بل أصبر معك ولا أترك متابعتك.
(قال فإن اتبعتني): فإن صحبتني لأخذ العلم.
(فلا تسألني عن شيء): مما تشاهد من أفعالي، وتنكره مني في نفسك، لا تفاتحني بالسؤال عن حكمته فضلا عن المناقشة والاعتراض.
(حتى أحدث لك منه ذكراً): حتى ابتدئ بيانه، وفيه بيان على أن كل ما يصدر عنه له حكمة وغاية.

وهذا الموقف موافقة من العبد الصالح على صحبة موسى له مع علمه أنه لن يطيق معه صبراً طويلاً على ما سيراه من أحواله، وهذه الموافقة استجابة لأمر الله الذي وجه موسى للقاء العبد الصالح ليرى باباً من العلم لا علم له به.

﴿ فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَاۖ قَالَ أَخَرَقۡتَهَا لِتُغۡرِقَ أَهۡلَهَا لَقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـًٔا إِمۡرٗا ٧١ قَالَ أَلَمۡ أَقُلۡ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ٧٢ قَالَ لَا تُؤَاخِذۡنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرۡهِقۡنِي مِنۡ أَمۡرِي عُسۡرٗا ٧٣ ﴾

ووافق موسى على شرط الخضر.

(فانطلقا): يمشيان على ساحل البحر فمرت سفينة فسألوا أصحابها أن يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوهم.

(حتى إذا ركبا في السفينة خرقها): خرق جانباً في السفينة لتكون ظاهرة العيب ولا يتسارع إلى أهلها الغرق.

(قال): موسى منكراً عليه.

(أخرقتها لتغرق أهلها): فإن خرقها سبب لدخول الماء فيها الذي يفضي إلى غرق أهلها، وليس هذا جزاء من حملنا بغير أجره.

(لقد جئت شيئاً إمراً): أتيت وفعلت أمراً منكراً وعجباً.

ومنذ الموقف الأول لم يطق موسى الصبر على ما رآه من حال الخضر فاعترض عليه، ونسي شرط الصحبة ألا يسأل عن شيء يراه من أمر الخضر حتى يكون هو البادئ بالحديث عنه.

(قال): الخضر.

(ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً): مذكراً موسى بما قال له، قد قلت لك إنك لن تستطيع أن تصبر معي أبداً.

وتذكر موسى الشرط ورأى عجباُ من أول الأمر ورغب في المزيد من العلم فاعتذر إلى الخضر.

(قال لا تؤاخذني بما نسيت):

كانت الأولى نسياناً فقال رسول الله ﷺ: **{يرحم الله موسى لو كان صبر حتى يقص علينا من أمره}** (مسند الإمام أحمد) .

قال رسول الله ﷺ: **{كانت الأولى نسياناً والوسطى شرطاً والثالثة عمداً}** (صحيح البخاري) .

(بما نسيت): بنسياني وصيتك بعدم السؤال عن حكمة الأفعال قبل البيان والناسي لا مؤاخذة عليه.

(ولا ترهقني من أمري عسراً): لا تعسِّر عليَّ متابعتك بل يسرها عليَّ فأنا أريد صحبتك ولا سبيل لي إليها إلا بالعفو، فما رأيته منك أثار العجب فلم أطق عليه صبراً.

قال سيد قطب: " نعم إن طبيعة موسى طبيعة انفعالية اندفاعية كما يظهر تصرفاته في كل أدوار حياته، نعم إن طبيعة موسى هي هذه الطبيعة ومن ثم لم يصبر على فعلة الرجل ولم يستطع الوفاء بوعده الذي قطعه أمام غرابتها، ولكن الطبيعة البشرية كلها تلتقي في أنها تجد للتجربة العملية وقعاً وطعماً غير التصور النظري، ولا تدرك الأمور حق إدراكها إلا إذا ذاقتها وجربتها".

﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِى ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ﴿٧٦﴾ ﴾

فقبل الخضر عذر موسى عليه السلام فخرجا من السفينة.

فانطلقا حتى إذا لقيا غلاما فقتله: وسارا في طريق فوجدا غلاماً فتوجه إليه الخضر وقتله من غير أن يظهر منه ما يستحق عقوبة القتل.

عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: **{ثم خرجا من السفينة فبينما هما يمشيان على الساحل إذ أبصر الخضر غلاماً يلعب مع الغلمان، فأخذ الخضر برأسه فاقتلعه بيده فقتله}** (رواه الشيخان) .

ونظر موسى فظن أن الخضر يرتكب جريمة قتل، لأنه رأى عقوبة من غير ذنب ظاهر، فنسي وعده للخضر بالصبر وترك الاعتراض.

(قال أقتلت نفساً زكية): أي طاهرة من الذنوب لأنها صغيرة لم تبلغ الحنث أي الإثم والذنب.

(بغَير نفس): من غير جناية القتل، فموسى يعلم أن (النفس بالنفس) وهذا ما لم يره من الغلام.

وقال معترضاً مرة أخرى على فعل الخضر، متهماً له.

(لقد جئت شيئاً نكراً): منكراً عظيماً لا يمكن السكوت عنه.

(قال): الخضر.

ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً: قاله تعنيفاً على قلة صبر موسى، ونسيانه شرط الصحبة للمرة الثانية، ولذلك زاد في قوله عن المرة الأولى (ألم أقل لك إنك) إذ قال له في المرة الأولى بعد اعتراضه على خرق السفينة(ألم أقل إنك) وزيادة (لك) زيادة عتاب على نسيان شرط الصحبة.

(قال): موسى عليه السلام.

(إن سألتك عن شيء بعدها): بعد هذه المرة.

(فلا تصاحبني): أي لا تكن صاحبي بل أبعدني عنك حتى وإن سألتك صحبتك.

(قد بلغت من لدني عذراً): وجدت عذراً من قبلي لمخالفتي لك مرتين.

وهذا اعتراف من موسى أنه يتعجل الحكم على ما يرى ولا يصبر حتى يبين له الخضر حقيقة الأمور.

﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارٗا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥۖ قَالَ لَوۡ شِئۡتَ لَتَّخَذۡتَ عَلَيۡهِ أَجۡرٗا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيۡنِي وَبَيۡنِكَۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأۡوِيلِ مَا لَمۡ تَسۡتَطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرًا ﴿٧٨﴾ ﴾

(فانطلقا): بعد هذا الشرط.

(حتى إذا أتيا أهل قرية): لم يحددها لنا القرآن الكريم لأن المهم الموقف لا المكان.

وفي الحديث: {حتى إذا أتيا أهل قرية لئاماً} (أخرجه النسائي) .

(استطعما أهلها): طلباً منهم ضيافة، وهو حق ينبغي أن يؤدى من غير طلب.

(فأبوا أن يضيفوهما): فامتنعوا من الضيافة.

(فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض فأقامه): ينقض: يكاد أن يسقط، فأصلح ميله وردَّه قائماً وهذا مستغرب منه لأنه كافأ أهل القرية على قلة مروءهم بعمل صالح، مما أثار اعتراض موسى.

(قال): موسى عليه السلام.

(لو شئت لاتخذت عليه أجراً): لاتخذت على عملك هذا أجرة نشتري بها طعاماً.

(قال): الخضر.

(هذا فراق بيني وبينك): هذا وقت الفراق بيننا، لأنك لم تبصبر ثلاث مرات وأنت جعلت لنفسك شرطاً لم تفِ به (إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني).

(سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً): سأبين لك حقائق الأمور التي تعجلت بالاعتراض علي فيها ولم تصبر نفسك حتى أبينها لك، وظننت فيَّ سوءاً وأنا أقوم بها.

قال رسول الله ﷺ: **{وددنا أن موسى كان صبر حتى يقص الله علينا من خبرهما}** (صحيح البخاري) .

أي يبين الله لنا بالوحي قصصاً كثيرة.

وقال رسول الله ﷺ: **{كانت الأولى من موسى نسياناً، قال وجاء عصفور حتى وقع على حرف السفينة ثم نقر في البحر فقال له الخضر ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور من البحر}** (صحيح مسلم) .

لقد وصف القرآن الكريم العبد الصالح بقوله:

﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ ﴾.

وقد سبق ذكر الرحمة ذكر العلم، ليكون ذلك دالاً على أن ما يصدر عنه هو رحمة مبنية على علم، وذلك ما خفي على موسى عليه السلام عند صحبته له، فكان منه الاعتراض الأول والثاني والثالث، مع أنه كان يعتذر عن كل اعتراض مع وعد بالسكوت، ولكن عدم ادراك الغاية، والنظر إلى ظاهر الحدث كان يستفزه.

لقد أحسن أصحاب السفينة إلى موسى والعبد الصالح، وكان من العبد الصالح من العمل ما ظاهره مقابلة الاحسان بالإساءة، بأنهم لم يأخذوا أجرة الركوب بخرق السفينة بما يعيبها، بل ظن موسى أن الخرق قد يغرق أهلها، وهو غير ذلك، لقد نسي موسى أنه مع رجل عالم علمّه الله من الأمر ما لم يعلمه موسى، علم مسار السفينة والسلطة المحيطة بهذا المسار من الملك المتجبر الذي يصطفي من السفن ما يليق به، ويبدو أن السفينة قبل الخرق كانت تلفت النظر، وكانت معرضة للغصب من رجال الملك، لقد كان أصحاب السفينة في أزمة تهدد مورد رزقهم، فجاء هذا الخرق رحمة من الله بهم جرت على يد العبد الصالح، ولننظر في الأمر كيف جلاّه العبد الصالح لموسى أن العيب قد يكون سببا في حفظ النعمة.

﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِي ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ ﴾ .

والإشارة إلى كون أصحاب السفينة (مساكين) يوحي بأن الرحمة تتزلت لنصرة الضعيف وحفظه من بطش المتجبر الذي يغصب حقوق الناس. ولا بد أن موسى كان يهز رأسه وهو يستمع إلى التعليل وفي نفسه تلك القاعدة الذهبية ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ ﴾ (يوسف: ٧٦).

وتلك كانت أزمة اقتصادية تتزلت لحلها الرحمة على يدي العبد الصالح.

وأما الموقف الثاني فهو أزمة أسرية، أبوان مؤمنان لهما غلام غير زكي النفس، وغير قابل للتربية والإصلاح، ولم يكن من سبيل لتحقيق الراحة للوالدين المؤمنين إلا أخذه بالقتل! وهل يصبر موسى حين يرى العبد الصالح يقتل غلاما ظاهره أنه نفس زكية لم تجن ذنبا؟!.

ولذلك جاء الاعتراض ﴿ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾ ﴾ لقد حكم موسى على ظاهر الأمر، ونظر العبد الصالح بالعلم الذي لديه إلى حال الوالدين، وتتزلت الرحمة عليهما على يديه بتخليصهما من هذا الولد الذي إذا كبر أرهقهما طغيانا وكفراً، ولم يقتصر الأمر على ذلك بل كان من تمام الرحمة والنعمة ﴿ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ ﴾ فمن أين لموسى بهذا العلم الذي أطلع الله عليه عبده الصالح؟.

وكذلك كان الموقف الثالث: كان هناك غلامان معرضان لأزمة مستقبلية، هي ضياع كتر لهما جعل أبوهما علامته بجدار قائم فوقه، فإن بقي الجدار كبرا واستخرجاه، وإن هدم الجدار ضاعت العلامة والكتر، وهذان الغلامان اليتيمان يعيشان في قريـــة لا مروءة لأهلهـــا ولا عهـــد ، فمن لا يكرم الضيف لا يرعى حق اليتيم، فكانت الرحمة المترلة على يد العبد الصالح بإقامة الجدار لا إكراما لأهل القرية التي لم تطعمهما، بل رحمة بالغلامين اليتيمين اللذين نفعهما صلاح والدهما فسخر لهما عبداً صالحا من عباد الله رعى أمرهما وأقام العلامة الدالة على كترهما، لم يكن العبد الصالح يفعل ما يصدر عنه بهوى أو رغبة ذاتية، بل كان بأمر الله ووحيه، تحقيقا لغايات تمضي بها الحياة على سواء، وفي المواقف الثلاثة مجالات للتفكير والتدبر في رؤية الرحمة، وفي التبصر في حكمة الله التي خفيت على موسى وتخفى على كثير منا، فتأتي هذه المشاهد لتقول لنا: إن خفيت عنكم الحكمة، ولم يتجل وجه الرحمة فاهموا أنفسكم ولاتتهموا القدر ولكم في موسى أسوة!!.

د. مأمون فريز جرار

﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتۡ لِمَسَٰكِينَ يَعۡمَلُونَ فِي ٱلۡبَحۡرِ فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٞ يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصۡبٗا ﴿٧٩﴾ ﴾

أما السفينة: التي خرقتها.

فكانت لمساكين: لضعفاء لا يقدرون على مدافعة الظلمة .

يعملون في البحر: بها مؤاجرة طلباً للكسب، فإنما سماهم الله مساكين دون فقراء بعجزهم عن دفع الملك الظالم. المسكين هنا: من استكان لظلم يقع عليه.

فأردت: برحمة الله وإرادته.

أن أعيبها: اجعلها ذات عيب يدفع عنها أعين رجال الملك، ويجعلها غير لائقة بأن تكون للملك.

وكان وراءهم: أمامهم.

قال تعالى: ﴿ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ (المؤمنون: ١٠٠) أي أمامهم.

ملك: كافر.

يأخذ كل سفينة: صحيحة جيدة.

غصباً: من أصحابها وقهراً.

﴿ وَأَمَّا ٱلۡغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤۡمِنَيۡنِ فَخَشِينَآ أَن يُرۡهِقَهُمَا طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗا (٨٠) فَأَرَدۡنَآ أَن يُبۡدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيۡرٗا مِّنۡهُ زَكَوٰةٗ وَأَقۡرَبَ رُحۡمٗا (٨١) ﴾

(وأما الغلام): الذي قتلته.

(فكان أبواه مؤمنين): صالحين.

(فخشينا): خفنا من.

(أن يرهقهما): يتعبهما في حياتهما إن كبر.

(طغياناً وكفراً): بالعقوق لهما والكفر بالله بما يسبب لهما الرهق والقلق في حياتهما.

(فخشينا أن يرهقهما طغياناً وكفراً):

قال محمد حسنين مخلوف: " يوقعهما لو بقي حياً في الطغيان والكفر لشدة محبتهما له، وقد أعلمه الله أنه طُبع كافراً".

(فأردنا): نسب القتل إلى نفسه تأدباً مع الله عز وجل - فأردنا نحن-.

(زكاة): طهارة من الذنوب والأخلاق الرديئة.

(وأقرب رحماً): أقرب منه رحمة وبراً بوالديه.

قال رسول الله ﷺ : **{عجبت للمؤمن أن الله تعالى لم يقض له قضاءً إلا كان خيراً له}** (صحيح الجامع ج٢/٣٩٨٥) .

﴿ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ ﴾

(وأما الجدار): الذي بناه الخضر.

(فكان لغلامين يتيمين في المدينة): في القرية.

(وكان تحته كنز لهما): تحت الجدار مال مدفون لهما من ذهب وفضة.

(وكان أبوهما صالحاً): فحفظاً بصلاح أبيهما في مالهما وأنفسهما.

(فأراد ربك): بتسوية الجدار.

(أن يبلغا أشدهما): سن الرشد الذي يقدران فيه على التعرف بما لهما.

(ويستخرجا كنزهما): من تحت الجدار.

(رحمة من ربك): أي هذا الذي فعلته في الأحوال الثلاثة إنما هو من رحمة الله عز وجل.

(وما فعلته عن أمري): ما فعلت ما رأيته يا موسى من خرق السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار ما كان عن رأيي واجتهادي، وإنما فعلته بأمر الله ووحيه.

(ذلك): الذي يبينه لك من حقائق المواقف الثلاثة.

(تأويل ما لم تسطع عليه صبرا): حذف (ت) للتخفيف. هذا تفسير ما ضقت به ذرعاً ولم تصبر عليه.

قال سيد قطب: " وفي دهشة السر المكشوف والستر المرفوع يختفي الرجل من السياق كما بدأ، لقد مضى في المجهول كما خرج من المجهول فالقصة تمثل الحكمة الكبرى، وهذه الحكمة لا تكشف عن نفسها إلا بمقدار، ثم تبقى مغيبة في علم الله وراء الأستار، وهكذا ترتبط في سياق السورة قصة موسى والعبد الصالح بقصة أصحاب الكهف في ترك الغيب لله، الذي يدبر الأمر بحكمته وفق علمه الشامل الذي يقصر عنه البشر الواقفون وراء الاستار، لا يكشف لهم عما وراءها من الأسرار إلا بمقدار".

في نهاية سورة الكهف نجد قصة ذي القرنين، هذ العبد الصالح الذي آتاه الله الملك، وأمدَّه بأسباب القوة، وبلغ مشرق الأرض ومغربها، وحكم في الأرض بشرع الله.

﴿ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ﴾

لقد ورد في قصة ذي القرنين ذكر ثلاثة أقوام: قوم عند مغرب الشمس كانوا صنفين: صالحين وظالمين، وقوم عند مطلع الشمس: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ ﴾ **وقوم بين السدين** ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ ﴾ **هؤلاء القوم الأخيرون يمثلون الطفولة البشرية في قلة إدراكها وضعف قوتها أمام المعتدين، ولذلك وجدناهم يجدون في ذي القرنين ملجأ لهم لحل أزمتهم مع يأجوج ومأجوج المفسدين في الأرض الذين أصاب إفسادهم أولئك القوم ولم يكن لهم حيلة لدفعه.**

فنحن أمام أزمة من نوع جديد مختلفة عن الأزمات التي وردت في السورة: أزمة الفتية المؤمنين (أصحاب الكهف) مع قومهم، وأزمة صاحب الجنتين، والأزمات الثلاث في قصة موسى والعبد الصالح.

إن الأزمة في قصة ذي القرنين أزمة قوم مع شعب مفسد، والمخرج منها ليس تدخلاً إلهياً مباشراً كما حدث في قصة أصحاب الكهف، وفي قصة صاحب الجنتين، وليس مخرجاً من فرد هو عبد صالح يسخره الله تعالى لتنفيذ قدره، بل نحن أمام ملك امتد سلطانه من مشرق الأرض إلى مغربها، وآتاه الله من كل شيء سبباً ولذلك لم يتقبل ما عرضه عليه أولئك القوم ﴿نَجۡعَلُ لَكَ خَرۡجًا﴾ وكان له غنى فيما آتاه الله تعالى: ﴿مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيۡرٞ﴾ ولكنه أراد أن يستثمر القوة البدنية لأولئك القوم لتحقيق ما فيه مصلحتهم، وهذا منهج إيجابي في التعامل مع الأزمات، فهو لم ينب عنهم في حل أزمتهم بل أشركهم في الحل، وقدم لهم منهجاً في البناء الذي يحول بينهم وبين أعدائهم، ويجعلهم في أمان، لقد سخرهم في استجلاب (زبر الحديد) وسخرهم في نفخ النار، وسخرهم في استحضار النحاس المذاب ليفرغ على الحديد المذاب.

وكما قلت في بداية الحديث عن الأزمات والرحمات في سورة الكهف أقول في هذه الأزمة لقد نطق ذو القرنين بذكر الرحمة التي حلت الأزمة، ونسب الرحمة إلى ربه لا إلى نفسه، وهذا ما يكشف عن

إيمانه بالله تعالى والتزامه منهج الله تعالى ﴿ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾ ﴾.

إن الأزمات المتنوعة في سورة الكهف تقدم للناس أفرادا وجماعات منافذ إلى رحمة الله من الأزمات التي يقعون فيها، وتجعلهم أكثر تبصراً بالأقدار التي تحل بهم، وتجعلهم أكثر إيجابية في الفهم وفي الحركة، ولعل ذلك بعض أهداف القراءة الدورية لسورة الكهف والله تعالى أعلم.

د. مأمون فريز جرار

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ ﴾

(ذو القرنين): عبد صالح ملكه الله الأرض وأعطاه العلم والحكمة والسلطان، وفي قصة ذي القرنين لم يحدد القرآن الزمان أو المكان ولم يذكر اسمه لأن المهم العبرة من القصة.

(ويسألونك): يا محمد، والسائلون هم كفار مكة بإيحاء من اليهود سألوه عن الرجل الطواف.

والسؤال على وجه الامتحان عن رجل طواف بلغ شرق الأرض وغربها، وهو ذو القرنين.

قال ابن كثير: " ذو القرنين الصحيح أنه ما كان نبياً ولا مَلَــكاً وإنما كان مَلِكا صالحا عادلاً مَلك الأقاليم وقهر أهلها من الملوك وغيرهم، فانقادت له البلاد ".

قال تعالى:

﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾

(الحج: ٤١) .

سمي بذي القرنين: لأنه بلغ قرني الشمس أي جانبيها مشرقها ومغربها كأنه حاز قرني الدنيا.

(عن ذي القرنين): عن خبره.

(قل): يا محمد لهم.

(سأتلوا عليكم): سأذكر لكم.
(منه): من خبره وحاله.
(ذكراً): نبأ مذكوراً وبياناً.
(إنا مكنا): بقدرة الله وبقدر الله كان التمكين، والأقدار وتمهيد الأسباب، كل هذا بقدرة الله سبحانه وتعالى وبهذا جعلنا له مكانة وعلواً.
جاء في تفسير ابن كثير: " أعطيناه ملكا عظيما ممكنا فيه من جميع ما يؤتى الملوك من التمكين والجنود وآلات الحرب، ولهذا ملك المشارق والمغارب ودانت له البلاد، وخضعت له الملوك".
(وآتيناه): مما أراده من المقاصد والأغراض.
(سبباً): طريقاً يوصل إلى غرضه ومقصوده من علم أو قدرة أو آلة.
قال ابن كثير: " يسّر الله له الأسباب أي الطرق والوسائل إلى فتح الأقاليم والبلاد والأراضي وكسر الأعداء وكبت ملوك الأرض وإذلال أهل الشرك وقد أوتي من كل شيء ما يحتاج إليه سبباً ".
(فأتبع سبباً): سار في عالم الأسباب وأخذ بها.

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَـٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ ﴾

إشارة إلى أن تمكينه وأفعاله كلها من باب الأسباب لا الخوارق.
(مغرب الشمس): منتهى الأرض من جهة المغرب ولا يمكن لأحد أن يتجاوزه فوقف على حافة البحر.

أي بلغ قوماً في جهة ليس وراءهم أحد لأنه لا يمكن أن يبلغ موضع غروب الشمس.

اتبع الأسباب التي توصله إلى المغرب، فاتبع منازل الأرض ومعالمها واستقصى المعلومات اللازمة لذلك.

قال ابن كثير: " فسلك طريقاً حتى وصل إلى أقصى ما يسلك فيه من الأرض من ناحية الغرب".

قال النسفي: " منتهى العمارة نحو المغرب حيث ترى الشمس هناك ساعة الغروب".

(وجدها تغرب في عين حمئة): كما أن راكب البحر يراها كأنها تغرب في البحر إذا لم ير الشط وفي الحقيقة هي تغيب وراء البحر فالأرض كرة والسماء محيطة بها والشمس أكبر من الأرض بمرات كثيرة. فلا يُعقل دخولها في عين من عيون الأرض.

(الحمئة): من الحمأ وهو الطين.

(ووجد عندها): عند تلك العين عند نهاية العمارة، عند مغرب الشمس.

(قوماً): أمة من الأمم.

(قلنا): بطريق الإلهام.

القول موجه لذي القرنين، والآية: تخيير له بين أن يعذبهم بالقتل إن أصروا على كفرهم، وبين أن يتخذ فيهم حسناً بإكرامهم وتعليمهم الشرائع إن آمنوا.

(تعذب): تأسر.

(أو التعذيب): القتل.

والتعذيب لمن بقي كافراً.

والإحسان العفو لمن آمن.

قال ابن كثير: " معنى هذا أن الله مكّنه منهم، وحكّمه فيهم، وأظفره بهم، وخيّره إن شاء قتل وسبى وإن شاء منّ وهدى".

﴿ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ ﴾

(قال): ذو القرنين.

(أما من ظلم): ظلم نفسه بإصراره على الكفر وعدم قبول الإيمان مني.

(فسوف نعذبه): أنا ومن معي في الدنيا بالقتل.

(ثم يرد إلى ربه): يرد إلى ربه في الآخرة.

(فيعذبه عذاباً نكراً): منكراً لم يعهد مثله وهو عذاب النار، أو عذاباً أفظع من النار، ومن رفض دعوتي فهو المعذب في الدارين.

وأما من آمن: عمل ما يقتضيه الإيمان بموجب دعوتي.

(فله): في الدارين.

(جزاءً الحسنى): له المثوبة الحسنى فهو مجزي بها في الدار الآخرة وهي الجنة.

(وسنقول له من أمرنا يُسراً): نأمر له اليسر والتيسير والتسهيل، لا نأمره بالصعب الشاق ولكن بالسهل المتيسر.

قال سيد قطب: " المهم أن ذا القرنين أعلن دستوره في معاملة البلاد المفتوحة التي دان له أهلها وسلطه الله عليها، وتدل الآية على إيمانـــه بالله واليوم الآخر وتدل على عدله وعلى رحمته وشفقته برعيته المؤمنة، فهو نموذج للملك المسلم لا يفرط في الآليات والوسائل، ويستخدم كل هذا في نشر الإسلام والجهاد، ومن ثم يعامل أعداء الله بما يستحقون، وهذا هو دستور الحكم الصالح، فالمؤمن الصالح ينبغي أن يجد الكرامة والتيسير والجزاء الحسن عند الحاكم، والمعتدي الظالم يجب أن يلقى العذاب والجزاء، وحين يجد المحسن في الجماعة جزاء إحسانه جزاء حسناً، ومكانا كريما وعونا وتيسيراً، ويجد المعتدي جزاء إفساده عقوبة واهانة وجفوه عندئذ يجد الناس ما يحفزهم إلى الصلاح والانتاج...".

(ثم أتبع سبباً): سلك طريقاً راجعاً من المغرب إلى المشرق.

والظاهر أنه كلما مرَّ بأمة قهرهم وغلبهم ودعاهم إلى الله عز وجل.

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ ﴾

(مطلع الشمس): أقصى الشرق، الموضع الذي تطلع عليه الشمس أولاً من معمور الأرض.

(وجدها): وجد الشمس.

(على قوم): على أمة.

(لم نجعل لهم من دونها ستراً): (من دون الشمس ستراً) ليس لهم بناء ولا أشجار تظلهم وكأن الأرض صحراوية.

قال سيد قطب: " الشمس ساطعة لا يسترها عن القوم ساتر وكذلك ضمير ذي القرنين ونواياه كلها مكشوفة لعلم الله... وكذلك يتناسق المشهد في الطبيعة في ضمير ذي القرنين على طريقة التنسيق القرآنيه الدقيقة.

﴿ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ ﴾

كذلك حال ذو القرنين كما وصفناه بالفخامة والمقام والعدل والحكمة.

(أحطنا بما لديه): من الجنود والآلات وأسباب الملك.

(خبراً): علماً تعلق بظواهره وخفاياه.

قال تعالى: (إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء)

(يعني): أن ذلك من الكثرة بحيث لا يحيط بعلمه إلا العليم اللطيف الخبير.

(ثم أتبع سبباً): أخذ طريقاً معترضاً بين المشرق والمغرب، آخذاً من الجنوب للشمال.

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴾

(السدين): الجبلين، جبلان عاليان من ورائهما يأجوج ومأجوج.

قال النسفي: " بين السدين: بين الجبلين اللذين سدّ ذوالقرنين ما بينهما".

ابن كثير: " جبلان متقابلان بينهما ثغرة يخرج منها يأجوج ومأجوج على بلاد الترك فيعيثون فيها فساداً ويهلكون الحرث والنسل وهذا من علامات الساعة الكبرى كما ورد في الأحاديث.

يأجوج ومأجوج: من سلالة آدم عليه السلام.

ثبت في الصحيحين: " أن الله تعالى يقول: يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك، فيقول أبعث بعث النار، فيقول: وما بعث النار؟ فيقول: من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة، فحينئذ يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها، قال: إن فيكم أمتين، ما كانتا في شيء إلا أكثرتاه يأجوج ومأجوج".

وجد من دونهما: أمام السدين ومن ورائهما.

(قوماً): أمة من الناس.

(لا يكادون يفقهون قولاً): لا يفهمون قولاً لاستعجام كلامهم، وبعدهم عن الناس لأنهم في عزلة عن الأمم المجاورة.

قال الزمخشري: " إلا بجهد ومشقة من إشارة ونحوها كما يفهم البهم".

﴿ قَالُواْ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ ﴾

(قالوا):على لسان ترجمانهم بطريق الشكاية،أو فهم ذي القرنين لكلامهم من جملة الأسباب التي أعطاها الله له .

(إن يأجوج ومأجوج): اسمان أعجميان.

(مفسدون في الأرض): قتلاً وإهلاكاً.

(فهل نجعل لك خرجاً): أجراً من أموالنا نخرجه لك.

(سداً): حاجزاً يمنعهم من الوصول إلينا.

أرادوا أن يجمعوا له مالاً يعطونه إياه حتى يبني السد.

ولكن عفة ذي القرنين وصلاحه وقصده الخير جعلته يرفض فطلب منهم المعونة ببذل جهدهم لا بمالهم.

﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ ﴾

(ما مكني): أي ما مكنني.

(فيه ربي): ربي جعلني فيه مكيناً من كثرة المال واليسار خير من المال الذي ستعطونني إياه فلا حاجة لي به.

كما قال سليمان عليه السلام: ﴿ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم ﴾ (النمل: ٣٦) .

(فأعينوني بقوة): ساعدوني بقوة أي بعملكم وآلات البناء والصناع.

(أجعل بينكم وبينهم ردماً): حاجزاً حصيناً وحجاباً عظيماً وهو أكبر من السد وأوثق.

(آتوني زبر الحديد): قطع الحديد وهذا تفسير للقوة.

(الزبرة): القطعة الكبيرة.

(حتى إذا ساوى): أي وضع بعضه على بعض من الأساس (قطع الحديد) حتى إذا حاذى بين رؤوس الجبلين طولاً وعرضاً.

(بين الصدفين): جانبي الجبلين، لأنهما يتصادفان يتقابلان.

(قال): ذو القرنين للعمال.

(انفخوا): في الحديد (أي أجج عليه النار) والنفخ يزيد تأجيج النار.

حتى إذا جعله ناراً: حتى إذا جعل المنفوخ فيه ناراً وهو الحديد جعله كتلاً نارية.

(قال): للذين يتولون أمر النحاس من الإذابة.

(آتوني افرغ عليه قطراً): أصب على الحديد المحمي النحاس.

(قال آتوني افرغ عليه قطراً) صاحب الظلال سيد قطب: استخدمت هذه الطريقة حديثاً في تقوية الحديد، بإضافة نسبة إليه من النحاس تضاعف مقاومته وصلابته (هذا ما هدى الله إليه ذا القرنين) منذ زمن بعيد.

(فما اسطاعوا): يأجوج ومأجوج ما قدروا على أن يصعدوا من فوق هذا السد – حذفت التاء للتخفيف لأن الصعود يحتاج إلى الخفة –.

(أن يظهروه): يصلوه بالصعود لارتفاعه وملاسته.

(وما استطاعوا له نقباً): أي ما قدروا أن ينقبوه أو يخرقوه من أسفله لصلابته وثخانته وهذه معجزة – وثبوت التاء(استطاعوا) لأن النقب بحاجة إلى قوة – .

﴿ قَالَ هَٰذَا رَحۡمَةٞ مِّن رَّبِّيۖ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَۖ وَكَانَ وَعۡدُ رَبِّي حَقّٗا ٩٨ ﴾

(قال): ذو القرنين.

(هذا): هذا السد وهذه الأقدار والتمكين.

(رحمة من ربي): رحمة عظيمة ونعمة جسيمة من رب العالمين وهو رحمة بالناس وعلى كافة العباد.

(فإذا جاء وعد ربي):

قال ابن كثير: " إذا اقترب الوعد الحق، جاء وعد ربي ومقدماته من خروج يأجوج ومأجوج".

قال النسفي: " إذا دنا مجيء يوم القيامة وشارف" .

(جعله دكاء): ساواه بالأرض، وكل ما ارتفع اندك يوم القيامة.

(وكان وعد ربي حقاً): الذي وعده كائناً لا محالة.

قال سيد قطب: " ونظر ذو القرنين إلى العمل الضخم الذي قام به، فلم يأخذه البطر والغرور، ولم تسكره نشوة القوة والعلم ولكنه ذكرالله فشكره، ورد إليه العمل الصالح الذي وفقه إليه، وتبرأ من قوته إلى قوة الله وفوض إليه الأمر وأعلن ما يؤمن به من أن الجبال والحواجز والسدود ستدك قبل يوم القيامة، فتعود الأرض سطحا أجرد مستوياً. (قال هذا رحمة من ربي...)

عن زينب بنت جحش زوج النبي ﷺ قالت: {استيقظ النبي ﷺ من نومه وهو محمر وجهه وهو يقول: لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وحلق، قلت: يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم إذا كثر الخبث} (متفق عليه) .

قال تعالى: (حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون واقترب الوعد الحق...) (الأنبياء: ٩٦-٩٧) .

﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ ﴾

وتركنا: وجعلنا.
(بعضهم): يأجوج ومأجوج عندما يخرجون يموجون في الناس ويفسدون على الناس أموالهم، قيل الجن والإنس يموجون يوم القيامة.
قال تعالى: (حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون واقترب الوعد الحق) .
(يومئذ): يوم جاء الوعد، وهو يوم القيامة.
قال النسفي: وجعلنا بعض الخلق يومئذ يختلط في بعض. يموج في بعض (والموج): الاضطراب. يضطربون اضطراب أمواج البحر ويختلط إنسهم وجنهم حيارى من شدة الهول.

قال سيد قطب: " وهو مشهد يرسم حركة الجموع البشرية من كل لون وجنس وأرض ومن كل جيل وزمان وعصر مبعوثين منشرين يختلطون ويضطربون في غير نظام وفي غير انتباه، تتدافع جموعهم تدافع الموج وتختلط اختلاط الموج ثم إذا نفخة التجمع والنظام (ونفخ في الصور فجمعناهم جمعا) فإذا هم في الصف في نظام".
(ونفخ في الصور): النفخة الثانية عندها يكون الحشر.
سئل رسول الله ﷺ عن الصور فقال: {هو قرن من نور أُلقمه إسرافيل} (رواه مسلم) .
(فجمعناهم جمعاً):

- أحضرنا الجميع للحساب فجمعنا جميع الخلائق للثواب والعقاب.
- وجمعنا كل إنسان جمعاً بعد إذ كان متفرقاً، جمعنا الخلائق بعدما تمزقت أجسادهم في صعيد واحد للحساب والجزاء.

﴿ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾ ﴾

(وعرضنا جهنم): أظهرنا لهم جهنم فرأوها وشاهدوها.

(يومئذ): يوم إذ جمعنا الخلائق كافة.

للكافرين منهم حيث جعلناها بحيث يروها ويسمعون لها تغيظا وزفيراً.

(عرضاً): هائلا لا يُعرف كنهه إلا الله سبحانه وتعالى.

قال رسول الله ﷺ: {يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها} (متفق عليه) .

الذين كانت أعينهم: في الدنيا.

(في غطاء): غلاف غليظ محاطة بذلك من جميع الجوانب.

(عن ذكري): عن الآيات المؤدية لأولي الأبصار المتدبرين فيها إلى ذكري بالتوحيد والتمجيد.

وصف لحال الكافرين في الدنيا أعينهم في غطاء عن آياتي التي تذكر بي، وهم في غطاء من القرآن وتأمل معانيه، أي تغافلوا وتعاموا عن قبول الهدى واتباع الحق.

(وكانوا): مع ذلك.

(لا يستطيعون): لفرط تصاممهم عن الحق، وكمال عداوتهم للرسول صلى الله عليه وسلم.

(سمعاً): استماعاً لذكري وكلامي، وهذا تمثيل لإعراضهم عن الأدلة السمعية.

﴿ أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوۡلِيَآءَۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا جَهَنَّمَ لِلۡكَٰفِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾ ﴾

(أفحسب): أظن.

(أن يتخذوا عبادي): من الملائكة وعيسى وعزير وهم تحت سلطاني وملكوتي.

(من دوني): مجاوزين إياي أي تاركين عبادتي.

(أولياء): معبودين ينصروهم من بأسي.

(إنا أعتدنا جهنم): هيأنا وأعددنا.

(للكافرين): المعهودين.

(نزلاً): هو ما يُعد للنزيل، ضيافة ومنزلاً.

وجزاؤهم في الآخرة النار على سلوكهم ومحبتهم للدنيا، وسخريتهم من أهل الإيمان، ورفضهم الدخول في الإسلام بعد. وجزاؤهم في الدنيا ألا يواليهم أهل الإيمان.

والمعنى: لا يظن الكافرون وهم قد رفضوا الدخول في الإسلام واتبعوا خطوات الشيطان ويسخرون من الذين آمنوا أن يكون عبادي لهم أولياء، إن عباد الله لا يكونو أولياء للكافرين وكيف يوالوهم وهم يرفضون الدخول في الإسلام ويستهزئون بالإيمان وأهله.

(إنا أعتدنا جهنم للكافرين نزلاً): فيه تهكم بهم كقوله تعالى: ﴿ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ ﴾ (الانشقاق: ٢٤) وزيادة عذابهم أنهم محجوبون عن رؤية الله تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ﴾

(المطففين: ١٥) الذين كفروا أضاعوا أيامهم بالكفر والآثام وأكلوا وشربوا في الدنيا كالأنعام. فلا جرم جعل الله لهم جهنم نزلاً.

والمؤمنون الذين جاهدوا في الله بالطاعات واشتغلوا بالمجاهدات، وما عبدوا غير الموجود الحقيقي في كل وقت من الأوقات، فلا جرم أن الله أحسن إليهم بالدرجات العاليات، فالخلاص والنجاة في التوجه إلى الله رفيع الدرجات.

﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ ﴾

الخطاب بمنطق الربح والخسارة لأهم في الدنيا كل معاملاتهم قائمة على الربح وهذا منطق أهل الأرض.

(ننبئكم): نخبركم أيها الكفرة.

(بالأخسرين أعمالاً): بالقوم الذين هم أشد الخلق وأعظمهم خسراناً فيما عملوا، وهذا بيان حال الكفرة باعتبار ما صدر عنهم من الأعمال الحسنة في أنفسها من صلة الرحم وإطعام الفقراء وفي حسباهم أيضاً حيث كانوا معجبين بها واثقين بنيل ثوابها ومشاهدة آثارها.

(الذين ضل سعيهم): ضل: ضاع وبطل. سعيهم: عملهم.

(ضل سعيهم): في إقامة الأعمال الحسنة في أنفسها أي ضاع وبطل بالكلية.

(في الحياة الدنيا): الضلال بالسعي في الدنيا. لأن بطلان سعيهم في الدنيا والآخرة.

(وهم يحسبون): يظنون.

(أنهم يحسنون صنعاً): يعملون عملاً ينفعهم في الآخرة أي يحسبون أنهم يعملون ذلك على الوجه اللائق وذلك لإعجابهم بأعمالهم التي سعوا في إقامتها وكابدوا في تحصيلها، لكن ما أخلصوا في عملهم ابتغاء رضوان الله عز وجل.

والآية عامة في كل من لم يدخل في الإسلام كله وهو يحسب أنه مصيب وهذا أكثر الناس خسارة، كالرهبان الذين حبسوا أنفسهم في الصوامع وهم ليسوا على شيء.

عن مصعب قال: سألت أبي يعني سعد بن أبي وقاص عن قول الله: (قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً) أهم الحرورية؟ أي الخوارج، قال: "لا هم اليهود والنصارى، أما اليهود فكذبوا محمداً صلى الله عليه وسلم، وأما النصارى فكفروا بالجنة وقالوا لا طعام فيها ولا شراب، وأما الحرورية – الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه– فكان سعد رضي الله عنه يسميهم الفاسقين"

(أخرجه البخاري) .

﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ﴾ .

(أولئك): المنعوتون بما ذكر من ضلال السعي.

(الذين كفروا بآيات ربهم): جحدوا بآيات الله وبراهينه التي أقامها على وحدانيته وصدق رسله وكذبوا بالدار الآخرة وكفروا بدلائله الداعية إلى التوحيد عقلاً ونقلاً.

(لقائه): بالبعث وما يتبعه من أمور الآخرة على ما هي عليه.

(فحبطت أعمالهم):بطلت، أي بطلت أعمالهم بكفرهم فلا يثابون عليها، قال تعالى: (لئن أشركت ليحبطن عملك).

قال سيد قطب: " وأصل الحبوط هو انتفاخ بطن الدابة حين تتغذى بنوع سام من الكلأ ثم تلقى حتفها وهو أنسب شيء لوصف الأعمال ... أنها تنتفخ وأصحابها يظنونها صالحة ناجحة رابحة... ثم تنتهي إلى البوار".

(أعمالهم): المعهودة في الدنيا حبوطاً كلياً فلا أجر عليها لعدم الإخلاص.

فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً: لا يكون لهم عندنا وزن ولا مقدار، ولا نثقل موازينهم لأنها خالية عن الخير، ونزدري بهم ولا نجعل لهم اعتباراً.

قال رسول الله ﷺ: **{يؤتى بالرجل الطويل الأكول الشروب فلا يزن جناح بعوضة اقرؤوا إن شئتم (فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً)}**
(رواه البخاري) .

(ذلك): أي عدم إخلاصهم في أعمالهم لله وحده.

(جزاؤهم جهنم): بكفرهم واستهزائهم بآيات الله ورسله.

(واتخذوا آياتي ورسلي هزواً): قال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾ ﴾ (البقرة ٢١٢) .

وهذا حال الكافرين في كل زمان ومكان.

والآن الصورة المقابلة للكافرين...

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ ﴾

(إن الذين آمنوا): في الدنيا.

(وعملوا الصالحات): الأعمال الصالحة، الخالصة لوجه الله تعالى والموافقة للقرآن والسنة.

(كانت لهم): في علم الله تعالى.

(جنات الفردوس): جنات متعددة النعيم والفردوس أعلى درجات الجنات.

(نزلاً): المنزل وما هيء للضيف النازل، ونزلاً أي ضيافة.

أي جنات الفردوس منازل مهيأة لهم أو ثمار الجنات نزلاً.

(خالدين فيها): مقدر لهم الخلود في تلك الجنات، مقيمين ساكنين فيها لا يرحلون عنها أبداً.

قال رسول الله ﷺ: **{إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه أعلى الجنة وأوسط الجنة ومنه تفجر أنهار الجنة}** (الصحيحين)

(لا يبغون عنها حولاً): لا يطلبون تحولا وانتقالاً عنها إلى غيرها. لا يطلبون تحولا عن الجنات رضا بما أعطوا ولتنوع النعيم.

قال سيد قطب: " وهذه اللفتة الدقيقة العميقة إلى طبيعة النفس البشرية وإحساسها بالمتاع في قوله (لا يبغون عنها حولا) وهي تحتاج منا إلى وقفة بازاء ما فيها من عمق ودقة... إنهم خالدون في جنات الفردوس، لكن النفس البشرية حوّل قُلّب تمل الاطراد وتسأم البقاء على حال واحدة أو مكان واحد، وإذا اطمأنت على

النعيم من التغير والنفاد فقدت حرصها عليه، وإذا مضى على وتيرة واحدة فقد تسأمه بل قد تنتهي إلى الضيق به والرغبة في الفرار منه!".

وهذا الوصف يدل على غاية الكمال، لأن الإنسان في الدنيا إذا وصل إلى درجة السعادة فهو طامح إلى ما هو أعلى منها.

قال رسول الله ﷺ: {الجنة مائة درجة بين كل درجتين كما بين السماء والأرض والفردوس أعلاها فيها تتفجر الأنهار الأربعة وفوقها عرش الرحمن فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس} (البخاري) .

قال ابن كثير: تنبيه على رغبتهم فيها وحبهم لها، فلا يختارون عن مقامهم ذلك تحولاً ولا انتقالا ولا رحلة ولا بدلا.

﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ ﴾

(قل): يا محمد.

لو كان البحر: ماؤه.

(مداداً): المداد ما يكتب به – حبراً.

(لكلمات ربي): لكلمات علمه وحكمته فتكتب من ماء البحر كما تكتب من المداد والحبر.

(لنفد البحر): ماء البحر بأسره مع كثرته ولم يبق منه شيء، لكثرة كلمات الله سبحانه وتعالى.

(قبل أن تنفد كلمات ربي): أي لو كتبت الكلمات التي تعبر عن علم الله وحكمته وكان البحر مداداً لها لنفد البحر قبل نفاد كلمات الله.

(ولو جئنا بمثله مدداً): بمثل البحر الموجود يعني بمائه، بمثل البحر آخر ثم آخر، ويكتب بها لما نفدت كلمات الله، إذ كلمات الله لاتتناهى

فجل جلاله ولا إله غيره، فإذا كان هذا علم الله فكيف لا يسلم الإنسان له وجهه وكيف لا يدخل في دينه وكيف لا يخدم أولياءه، وكيف لا يخاف شأنه وكيف لا يحب آخرته؟؟!

قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ (لقمان: ٢٧) من ظاهرة الإعجاز في القرآن أنك تجد صورة في تصوير علم الله غير المتناهي في هذه الآية.

قال سيد قطب: " وبهذا التصوير المحسوس والحركة المجسمة يقرب إلى التصور البشري المحدود معنى غير المحدود ونسبة المحدود إليه مهما عظم واتسع، ومهما أوتي العقل البشري من القدرة على التجريد فإنه يظل في حاجة إلى تمثل المعنى المجرد في صور وأشكال وخصائص، ونماذج ذلك شأنه مع المعاني المجردة التي تمثل المحدود فكيف بغير المحدود؟ لذلك يضرب القرآن الأمثال للناس... والبحر في هذا المثال يمثل علم الإنسان الذي يظنه واسعاً غزيراً وهو على سعته وغزارته محدود، وكلمات الله تمثل العلم الإلهي الذي لا حد له والذي لا يدرك البشر نهايته، بل لا يستطيعون تلقيه وتسجيله فضلا على محاكاته.

﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾

(قل): يا محمد ما أنا إلا آدمي مثلكم في الصورة، ومساو لكم في الصفات البشرية، ولكن يوحى إليّ من ربي.

(قل إنما أنا بشر مثلكم): فمن زعم أني كاذب فليأت بمثل ما جئت به فإني لا أعلم الغيب، فما كنت لأخبركم عما سألتم من قصة أصحاب الكهف، وخبر ذي القرنين، مما هو مطابق في نفس الأمر لولا ما أطلعني الله عليه، فأنا بشر ولكن الله خصني بالنبوة والرسالة وأكرمني بالوحي، وشرفني بالدعوة لدينه.

قال تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ (النجم: ٣ – ٤)

قال سيد قطب: " بشر يتلقى من ذلك الأفق الأسمى، بشر يستمد من ذلك المعين الذي لا ينضب، بشر لا يتجاوز الهدى الذي يتلقاه من مولاه، بشر يتعلم فيعلم فيعلم.. فمن كان يتطلع إلى القرب من ذلك الجوار الأسنى فلينتفع بما يتعلم من الرسول الذي يتلقى وليأخذ بالوسيلة التي لا وسيلة سواها".

(إنما إلهكم إله واحد): هذا محور دعوة الرسول، ومحور ما ادعو إليه وما أوحي إليَّ.

(إله واحد): متفرد في الأولوهية لا نظير له` في ذاته، ولا شريك له في صفاته.

قال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾ (الإخلاص: ١ – ٤) فأنا معترف ببشريتي والله منَّ علي بالنبوة والرسالة.

(فمن كان يرجو لقاء ربه): من استمر على رجاء كرمه تعالى وعلى رؤيته، ومن كان يأمل حسن لقاء ربه، ويرجو ثوابه وجزاءه الصالح.

(فليعمل): لتحصيل ذلك المطلوب العزيز (لقاء الله وهو عليه راض).
(عملاً صالحاً): عملا موافقا لشرع الله، عملا يصلح للعرض على الله ، والعمل الصالح: الذي يريد به وجه الله تعالى ويوافق القرآن والسنة الشريفة، قال ذو النون: العمل الصالح هو الخالص من الرياء.
(ولا يشرك بعبادة ربه أحداً): أي في عبادة ربه إشراكا جلياً، ولا إشراكا خفيا كما يفعله أهل الرياء.
قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ ﴾ (النساء: ١١٦) .
قال ابن عباس: أراد العمل الذي يعمله يحب أن يحمد عليه.
الحسن: هذا فيمن أشرك بعمل يريد الله به والناس.
عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **{يقول الله يوم القيامة أنا خير شريك فمن أشرك بي أحداً فهو له كله}** (الإمام أحمد) .
عن أبي هريرة عن النبي ﷺ يرويه عن الله عز وجل أنه قال : **{أنا خير الشركاء فمن عمل عملاً أشرك فيه غيري فأنا منه برئ وهو للذي أشرك}**.
عن أبي سعيد بن أبي فضالة الأنصاري وكان من الصحابة أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **{إذا جمع الله الأولين والآخرين ليوم لا ريب فيه نادى مناد من كان أشرك في عمل عمله لله أحداً فليطلب ثوابه من عند غير الله، فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك}**
(الإمام أحمد) .

عن عبد الله بن غالب: أنه كان إذا أصبح يقول رزقني الله البارحة خيراً قرأت كذا وصليت كذا، فإذا قيل له يا أبا فراس أمثلك يقول مثل هذا؟ يقول: قال الله تعالى: {وأما بنعمة ربك فحدث، وأنتم تقولون لا تحدث بنعمة الله} وإنما يجوز مثله إذا قصد به اللطف وأن يقتدى به غيره، وأمن على نفسه الفتنة والستر أولى.

قال ابن كثير: وهذان ركنان للعمل المتقبل لا بد أن يكون خالصاً لله، وصوابا على شريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال ﷺ: {إن أخوف ما أخاف على أمتي الإشراك بالله، أما إني لا أقول يعبدون شمسا ولا قمرا ولا شجرا ولا وثنا ولكن أعمالا لغير الله تعالى} (الإمام أحمد) .

ابتدأت السورة بالحمد لله على نعمة القرآن ونعمة إرسال الرسول صلى الله عليه وسلم بالوحي. وانتهت السورة ببشرية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتميّزه عن البشر بالوحي. ثم ختمت بآيات كلها من نور كل من يرجو لقاء الله ما عليه إلا أن يوحد ويؤمن ويسلك الطريق بالعمل الصالح، والنتيجة محصلة لا محالة رضا الله سبحانه وتعالى.

قال سيد قطب: " وهكذا تختم السورة التي بدأت بذكر الوحي والتوحيد بتلك الايقاعات المتدرجة في العمق والشمول حتى تصل إلى نهايتها فيكون هذا الايقاع الشامل العميق الذي ترتكز عليه سائر الأنغام في لحن العقيدة الكبير".

الخاتمة

سورة الكهف من السور الحبيبة إلى النفس، والحكمة بالغة في قراءتها في كل ليلة جمعة أو يوم جمعة، وذلك لأن أقدارنا نتقلب بها باستمرار، ولا يصبر ولا يرضى إلا من أدرك حكمة الله في البلاء، وعلم وأيقن أن في كل أمر حكمة، وفي كل قدر خير قد نعرفه وقد لا نصل إليه. المهم الرضا عن أفعال الله سبحانه وتعالى في حياتنا.

والرضا بقدر الله ثمرة من ثمار محبة الله سبحانه، بل الرضا هو أعلى مقامات المقربين. ويكفي المؤمن والمؤمنة فضلا ونعمة قوله تعالى: (رضي الله عنهم ورضوا عنه).

فالرضا عن أفعال الله وأقداره تحصد نتيجته فوراً.. رضا الله سبحانه هذا في الدنيا، وأما في الآخرة فالجائزة الكبرى (ورضوان من الله أكبر) .

ونماذج الراضين في تاريخنا حافل...

فها هو خامس الخلفاء الراشدين عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يقول: " ما بقي لي سرور إلا في مواقع القدر".

وأبو الدرداء رضي الله عنه يقول: " ذروة الإيمان الصبر للحكم والرضا بالقدر".

وأما ابن القيم فكلماته عن القدر أنوار تتلألأ في نفوس المؤمنين.

" الرضا باب الله الأعظم، ومستراح العابدين، وجنة الدنيا، من لم يدخله في الدنيا لم يتذوقه في الآخرة "

وأخيراً الرضا الأكمل هو رضا رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يناجي ربه فيقول:

" اللهم رضني بقضائك حتى لا احب تعجيل ما أخرت ولا تأخير ما عجلت "

ونحن نكرر دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ونقول اللهم رضنا بقضائك إلى أن نلقاك.

المراجع

- القرآن الكريم.
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن.
- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث.
- صحيح الجامع الصغير وزيادته.
- صحيح البخاري.
- صحيح مسلم.
- الأساس في التفسير / سعيد حوّى .
- تفسير القرآن العظيم / ابن كثير.
- تنوير الأذهان من تفسير روح البيان / الشيخ إسماعيل حقي البروسوي.
- زبدة التفسير من فتح القدير / مختصر من تفسير الشوكاني / محمد سليمان الأشقر.
- الكشاف للزمخشري .
- صفوة البيان /حسنين محمد مخلوف.
- كلمات القرآن تفسير وبيان /حسنين محمد مخلوف
- موقع الداعية عمرو خالد على الانترنت.
- موقع الشيخ بسام جرار على الانترنت.

www.islamnoon.com

- في ظلال القرآن / سيد قطب.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
ســـورة الكهف	٣
الإهـــــــــداء	١٤
المقدمة د. مأمون فريز جرار	١٥
بين يدي الكتاب	١٧
ملامح السورة	٢٠
كيف تعصم نفسك من الفتن	٢١
موضوعات السورة	٢٣
فضائل السورة	٢٥
مميزات سورة الكهف	٢٧
ظلال حول القصة	٢٩
تفسير الآيات (١-٨)	٣٠
الأزمة والرحمة في قصة أهل الكهف	٣٧
نظرات في قصة أصحاب الكهف	٤٠
تفسير الآيات (٩-٣١)	٤٠
أزمة صاحب الجنتين	٦٨
تفسير الآيات (٣٢-٥٩)	٧٠
أزمة موسى والعلم	٩٧
تفسير الآيات (٦٠-٦٤)	١٠٠
أزمة موسى والعبد الصالح	١٠٣
تفسير الآيات (٦٥-٧٨)	١٠٦
الرحمات في أزمات العبد الصالح	١١٣
تفسير الآيات (٧٩-٨٢)	١١٨
الأزمة والرحمة في قصة ذي القرنين	١٢١
تفسير الآيات (٨٣-١١٠)	١٢٤
الخاتمة	١٤٦
المراجع	١٤٨



صدر للمؤلفة عن دار المأمون

١- (ربنا وتقبل دعاء).

٢- (تفسير سورة الكهف).

٣- (تفسير سورة الفاتحة).

٤- (عالم المرأة المسلمة).

٥- (الحجاب منهج حياة).

٦- (حقوق الزوجين).

٧- (الموت وأحكامه).

٨- (ربنا وتقبل الدعاء مترجم باللغة الإنجليزية).

٩- (تفسير سورة الكهف مترجم باللغة الإنجليزية).

١٠- (تفسير سورة الفاتحة مترجم باللغة الإنجليزية).

١١- (عالم المرأة المسلمة مترجم باللغة الإنجليزية).

١٢- (حجابي حياتي مترجم باللغة الإنجليزية).

١٣- (حقوق الزوجين مترجم باللغة الإنجليزية).

١٤- (الموت وأحكامه مترجم باللغة الإنجليزية).